جون ستريليكي

المقهى على حافة العالم

قصة عن معنى الحياة

مكتبة
نعطي الحياة معنى

ترجمة
محمد نجيب

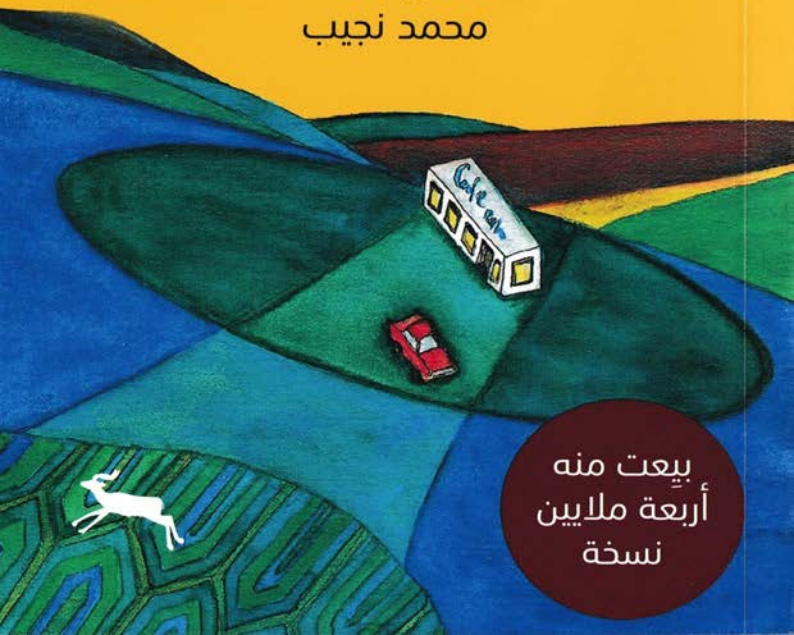

بيعت منه
أربعة ملايين
نسخة

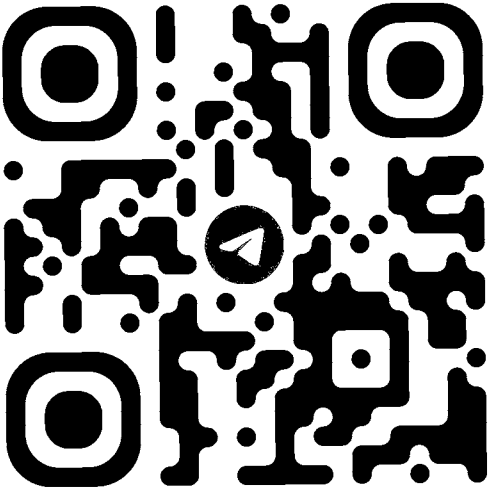

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

المقهى على حافة العالم

(قصة عن معنى الحياة)

المقهى على حافة العالم

تأليف: جون ستريليكي

ترجمة: محمد نجيب

الطبعة الأولى - 2024

978-603-92068-5-9

رقم الإيداع: 1445/2263

هذا الكتاب ترجمة لـ The Cafe on the Edge of the World

John Strelecky

2003

منشورات نادي الكتاب

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك عبد العزيز - مجمع الفناء الخلفي

publications@club-book.com

مكتبة

t.me/soramnqraa

29 9 2025

يمكنك شراء الكتاب من الموقع

www.club-book.com

@BC__Pub

جون ستريليكي

مكتبة
t.me/soramnqraa

المقهى على حافة العالم

(قصة عن معنى الحياة)

ترجمة
محمد نجيب

منشورات نادي الكتاب

المقهى على حافة العالم

الكتاب الذي أهداه ملايين القراء لأحبتهم. قصة بسيطة، ولكنها تُغيِّر حياة أي شخص يكافح من أجل العثور على مكانه في الحياة. «المقهى على حافة العالم» الكتاب الذي تصدَّر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العام سبع مرات، وتُرجِم لثلاثٍ وأربعين لغة.

في مقهى صغير في مكانٍ بعيد جدًّا، يجد الزائر ثلاثة أسئلة غير عادية في خلفية قائمة الطعام.

لماذا أنت هنا؟

هل تخشى الموت؟

هل حققت ما تطمح إليه؟

مع هذه الأسئلة المحفِّزة للتفكير وتوجيهات ثلاثة أشخاص في المقهى، ينطلق الزائر في رحلة لاكتشاف الذات. على طوال الطريق، ستكتشف طريقةً جديدة للنظر إلى الحياة ونفسك، وإلى أي مدى يمكنك أن تتعلم حتى من سلحفاة بحرية خضراء.

«المقهى على حافة العالم خيميائى القرن الحادي والعشرين»
- RBA Libros

«وضع (ستريليكي) إصبعه على نبض العالم»
- جانيت ميديا

«دليل كوني لكيفية عيش الحياة»
- أورلاندو سينتينل

إلى كيسي ومايك وآن

مكتبة
t.me/soramnqraa

استهلال

في بعض الأحيان عندما لا تتوقع ذلك، رغم أنك قد تكون في أمس الحاجة إليه، تجد نفسك في مكان جديد رفقة أشخاص جدد، وتتعلم أشياء جديدة. حدث ذلك لي ذات ليلة على امتداد طريق مقفر ومظلم.

عند النظر إلى الوراء، كان وضعي في تلك اللحظة رمزًا لحياتي وقتذاك. تمامًا كما ضللت الطريق، ضللت في الحياة أيضًا - لست متأكدًا من وجهتي بالضبط، أو لماذا كنت أتحرك في هذا الاتجاه.

كنت قد أخذت إجازة مدة أسبوع من وظيفتي. كان هدفي الابتعاد عن كل شيء مرتبط بالعمل. لم يكن ذلك لأن وظيفتي كانت فظيعة. بالتأكيد، كانت لها جوانبها المحبطة. لكن أكثر من أي شيء آخر، وجدت نفسي في معظم الأيام أتساءل إن كان من المفترض أن يكون هناك ما هو أكثر في الحياة من قضاء عشر إلى اثنتي عشرة ساعة يوميًا في العمل في حجرة صغيرة. يبدو أن الغاية الرئيسة لها الحصول على ترقية محتملة للعمل من اثنتي إلى أربع عشرة ساعة يوميًا في المكتب.

خلال المدرسة الثانوية كنت قد أعددت نفسي للكلية. في الكلية هيأت نفسي لعالم العمل. منذ ذلك الحين كنت أقضي وقتي في شق طريقي صعودًا في الشركة التي كنت أعمل فيها. الآن أتساءل إن كان الأشخاص الذين ساعدوا في توجيهي طوال تلك المسارات، كانوا ببساطة يرددون لي ما كرره لهم أحدهم سلفًا في حياتهم.

لم تكن نصيحة سيئة حقًّا، لكنها لم تكن نصيحة مجزية أيضًا. شعرت أكثر فأكثر بأنني كنت مشغولًا بمقايضة حياتي مقابل المال، ولم يعد يتراءى لي ذلك مقايضة جيدة.

هذه الحالة الذهنية غير المؤكَّدة هي المكان الذي كنت فيه ذهنيًا عندما وجدت «مقهى الأسئلة». عندما ربطت هذه القصة بأخرى، استخدمت في وصفها مصطلحات، مثل: «صوفية» و«**منطقة الشفق**». يشير المصطلح الأخير إلى مسلسل تلفزيوني قديم، حيث كان الناس يظهرون في أماكن تبدو للوهلة الأولى طبيعية، لكن لم ينته بها الحال دائمًا بهذه الطريقة.

أحيانًا، للحظة واحدة، أجد نفسي أتساءل إن كانت تجربتي في المقهى حقيقية. عندما يحدث ذلك، أذهب إلى درج مكتبي في المنزل، أُخرِج القائمة التي أعطتني إياها

كيسي، واقرأ الرسالة التي كتبتها. تذكّرني الرسالة كيف كان كل شيء حقيقيًّا.

لم أحاول قط تتبع خطواتي والعثور على المقهى مرة أخرى. يحب جزء صغير مني تصديق أنه مهما كانت الأمسية حقيقية، حتى لو كان بإمكاني العودة إلى المكان المحدد حيث وجدت المقهى في الأصل، فلن يكون موجودًا هناك. كان السبب الوحيد لعثوري عليه أنه في هذه اللحظة، في تلك الليلة، كنت بحاجة إلى العثور عليه. ولهذا السبب وحده، كان موجودًا.

ربما سأحاول الرجوع في أحد الأيام. أو ربما في ليلة ما سأجد نفسي أمامه مرة أخرى. ثم يمكنني الدخول وإخبار كيسي ومايك وآنِ، كيف غيَّرت تلك الليلة في المقهى حياتي. كيف أسفرت الأسئلة التي كشفوا لي عنها عن أفكار واكتشافات تتجاوز أي شيء كنت أتخيله سلفًا.

من يعرف. ربما في تلك الليلة سأقضي المساء أتحدث إلى شخصٍ آخر ضل طريقه وتجول في «مقهى الأسئلة». أو ربما سأكتب كتابًا عن تجربتي، وأترك ذلك حتى يكون جزء من مساهمتي في ما يدور حوله المقهى.

1

كنت أزحفُ ببطء على امتداد الطريق السريع بنسقٍ جعل المشي يبدو كأنه سباق سيارات عالي السرعة. بعد ساعة من التقدم ببطء، توقفت حركة المرور تمامًا. ضغطت على زر مسح الموجات في الراديو، وبحثت عن أي علامة على وجود حياة عاقلة. لم يكن هناك شيء.

بعد مرور عشرين دقيقة دون أن يتحرك أحد، بدأ الناس في الترجل من سياراتهم. هذا لم يحقق أي شيء في الواقع، ولكن على الأقل يمكننا جميعًا الشكوى إلى شخصٍ ما خارج سيارتنا، وهو ما كان بمثابة تغيير لطيف في الوتيرة.

ظل مالك الشاحنة الصغيرة أمامي يردد أن حجزه سيُلغى إن لم يصل إلى فندقه بحلول الساعة السادسة. كانت المرأة داخل السَّيَّارة المَكْشوفة على يساري تشكو من عدم كفاءة نظام الطرق بأكمله. ورائي، كانت سيارة محملة بلاعبي بيسبول في دوري الشباب يقودون مشرفتهم إلى حافة الجنون. كدت أسمعها وهي تتمتم أن هذه كانت آخر مرة تتطوع فيها لأي شيء. في الأساس، كنت قطعة صغيرة من شريط طويل من السخط.

أخيرًا، بعد خمس وعشرين دقيقة أخرى دون أي علامة على الحركة إلى الأمام، جاءت سيارة شرطة متجهة إلى وسط العشب في المركز. تتوقف السيارة كل بضع مئات من الأقدام، على الأرجح لإعلام الناس بما يجري.

قلت لنفسي: «من أجل تلك الضابطة المسكينة، آمل أنهم يحملون معهم معدات مكافحة الشغب».

بترقب شديد، انتظرنا جميعًا دورنا. عندما وصلت الضابطة أخيرًا إلى قسمنا من الطريق السريع، أخبرتنا أن ناقلة بها مواد يحتمل أن تكون سامة انقلبت قبل حوالي خمسة أميال. كان الطريق مغلقًا تمامًا. وأوضحت أن خياراتنا كانت الالتفاف وتجربة طريق بديل - بالرغم من عدم وجود طريق بالفعل - أو انتظار انتهاء جهود التنظيف. ربما يستغرق ذلك ساعة أخرى.

شاهدت الضابطة تنتقل إلى المجموعة التالية من السائقين البائسين. عندما كرر الرجل مالك الشاحنة الصغيرة مرتين أخريين مخاوفه بشأن حجز الساعة السادسة، قررت أن صبري قد نفد.

غمغمت لنفسي: «هذه بالضبط نوعية الأشياء التي يبدو أنها تحدث دائمًا عندما أحاول الابتعاد لمدة».

شرحت لأصدقائي الجدد أنني وصلت إلى حدي الأقصى من الإحباط، وأنني كنت سأجرب طريقة مختلفة. بعد تعليق واحد آخر على حجزه في الساعة السادسة، أخلى مالك الشاحنة الصغيرة طريقًا لي، وعبرت وسط العشب. ثم بدأت أسير بالسيارة في اتجاه جديد.

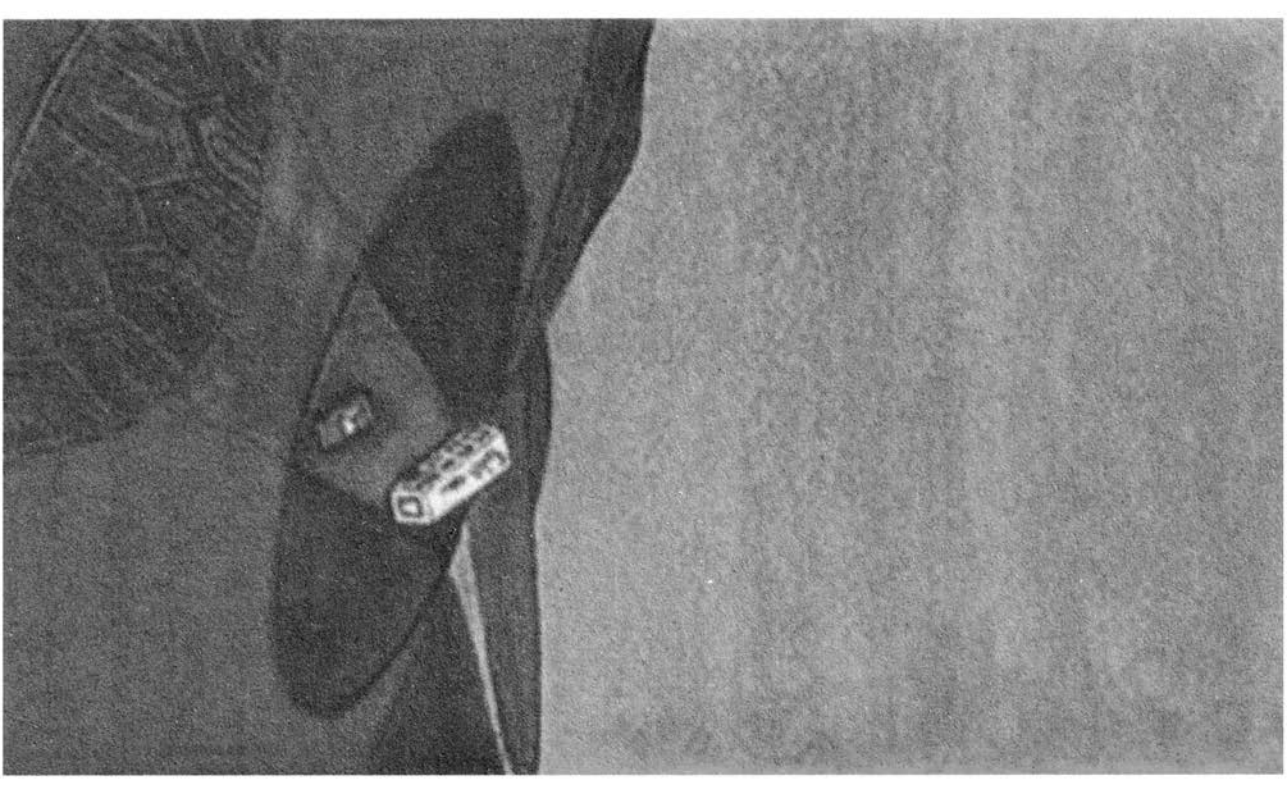

2

شغَّلت هاتفي، وفتحت خاصية الخريطة التي قدمها. «النظام غير متوافر»، كان هذا كل ما ظل يظهر على الشاشة.

بينما كنت أتجه جنوبًا، وأنا أعلم يقينًا أنني يجب أن أتجه شمالًا، تنامى بداخلي شعوري بالإحباط. خمسة أميال بدون مخرج أصبحت عشرة، ثم عشرين، ثم خمسة وعشرين ميلًا.

قلت لنفسي بصوتٍ عالٍ: «بحلول الوقت الذي أجد فيه مخرجًا، لن يكون ذلك هامًا حقًّا، إذ ليست لدي أي فكرة عن كيفية الوصول إلى حيث أريد أن أذهب». برهان مثالي على حالتي الذهنية المتدهورة باطراد.

أخيرًا، عند الميل الثامن والعشرين، لاح مخرج.

قلت لنفسي وأنا أوقف السيارة أعلى المنحدر: «هذا ليس ممكنًا فحسب. أنا في المكان الوحيد في العالم بأسره على الأرجح، حيث لا توجد: محطة بنزين، أو مطعم وجبات سريعة، أو أي شيء آخر عند تقاطع طريق سريع».

نظرت يساري. لم يكن ثمة شيء. كان المشهد يمينًا فارغًا بالقدر نفسه.

قلت: «حسنًا، يبدو أنه لا يهم أي طريق سأسلك».

استدرت يمينًا، في حين أسجل ملاحظة في ذهني بأنني سأذهب الآن غربًا، وعند التقاطع الواعد التالي يجب أن أنعطف يمينًا مرة أخرى. بهذه الطريقة على الأقل سأعود إلى الشمال. كان الطريق عبارة عن حارتين: إحداهما تأخذني بعيدًا عن المكان الذي أتيت إليه، والأخرى تُعيدني من حيث أتيت. ما كنت متأكدًا حقًّا أي حارة يجب أن أسير فيها.

كانت حركة المرور خفيفة للغاية. وكانت أمارات الحضارة أخف حتى. رأيت منزلًا عَرَضيًّا، وبعض المزارع العائلية، ثم لم أرَ شيئًا سوى الغابات وأرض عشبية.

بعد ساعة ضللت الطريق رسميًّا. كانت التقاطعات الوحيدة التي مررت بها صغيرة ومميزة بنوع اللافتات التي تشير على الفور إلى أنك في ورطة. عندما لا ترى شخصًا آخر مسافة أربعين ميلًا، والطريق الذي تسلكه يحمل اسمًا يبدأ بكلمة «قديم»، كما في «الطريق القديم 65»، تبدو الأمور قاتمة جدًّا.

عند التقاطع التالي الذي لم يكن في الحقيقة أكبر من أي تقاطع من التقاطعات الأخرى التي اجتزتها، استدرت يمينًا. كان فعلًا يائسًا. على الأقل سأذهب في اتجاه البوصلة الصحيح، حتى لو لم تكن لدي أي فكرة عن مكان وجودي. لفرط فزعي، بدأ اسم هذا الطريق أيضًا بكلمة «قديم».

3

بعد ساعة، كانت الشمس تغوص بسرعة في الأفق. مع انتهاء اليوم، استمر إحباطي في التزايد.

قلت بغضب: «كان ينبغي لي أن أبقى على الطريق السريع. كنت منزعجًا جدًّا من إهدار ساعة واحدة، والآن أضعت ساعتين، وما زلت لا أعرف أين أنا بحق الجحيم».

لكمت سقف سيارتي، كما لو أن السيارة لها علاقة بالموقف، أو كما لو أن ذلك سيساعد.

عشرة، خمسة عشر، عشرين ميلًا، وما زال لا شيء. لدي الآن أقل من نصف سعة خزان الغاز. بقدر ما أستطيع أن أقول، العودة ما عادت خيارًا. مع وقودي المتبقي، لم أستطع العودة إلى حيث بدأت، على افتراض أنه يمكنني حتى العثور على ذلك المكان. وحتى لو عدت، لم تكن هناك محطة وقود على طول الطريق على أي حال.

كان خياري الوحيد أن أتقدم ببطء، وآمل أن أجد أخيرًا مكانًا ما يمكنني فيه ملء خزان الوقود، والحصول على

بعض الطعام. استمر مستوى الإحباط لدي في الاتجاه المعاكس لعداد الوقود.

انطلقت في هذه الرحلة لتجنب الإحباط. عانيت الكثير منه في المنزل؛ بسبب وظيفتي والفواتير وإلى حدٍّ ما الحياة عمومًا. لم أكن بحاجة إلى الإحباط هنا أيضًا. كان من المفترض أن تكون هذه فرصتي للاسترخاء و«إعادة شحن بطاريتي».

فكرت في قرارة نفسي: «يا لها من عبارة غريبة!! إعادة شحن بطارياتي. واستنزاف، وإعادة شحن، واستنزاف، وإعادة شحن... كيف يعني ذلك التحرُّك في اتجاه إيجابي؟».

مرت عشرون دقيقة أخرى، وغاصت الشمس كليًّا تحت خط الشجر. كان الغسق يلف الريف بشكل مطرد. عكست آثار اللون الوردي والبرتقالي على الغيوم الجوهر الأخير لضوء النهار، مع أنني بالكاد لاحظت السماء، بينما ركزت على الطريق والوضع الآخذ في التدهور. لم تكن هناك حتى الآن أي علامة على وجود أي بشر.

ألقيت نظرة خاطفة على عدَّاد الغاز مرة أخرى. قلت بصوتٍ عالٍ: «أقل من ربع الخزان والرقم مستمر في الهبوط».

آخر مرة نمت فيها داخل سيارتي كانت في أثناء قيادتي في طريق العودة من الكلية. كان ذلك قبل سنوات، ولم أكن قد خططت حقًّا لتكرار الحدث. لسوء الحظ، بدا كأن ذلك أصبح مرجحًا أكثر فأكثر.

فكرت: «سأحتاج إلى النوم، حتى أمتلك القوة الكافية للمشي بحثًا عن المساعدة بمجرد نفاد الوقود من السيارة».

مكتبة
t.me/soramnqraa

4

عندما بدأت الإبرة الموجودة على عدَّاد الوقود في الانزلاق إلى أدنى من علامة «فارغ»، رأيت الضوء. وقد استولت عليَّ حماقة موقفي، استدرت يسارًا عند تقاطع على مبعدة أميال قليلة. لم يكن هناك ما يشير إلى أن فرصي في العثور على أي شخص ستكون أفضل من خلال اتخاذ هذا المنعطف، لكنني فعلت ذلك على أي حال. كان على الأقل طريقًا لم يبدأ اسمه بكلمة «قديم»، وكان هذا تبريري وقتذاك.

قلت بصوتٍ عالٍ: «فعل يائس قد يؤتي ثماره على ما يبدو».

عندما اقتربت من الضوء، استطعت أن أرى أنه مصباح شارع. مصباح شارع أبيض واحد، يسطع في مكان بعيد للغاية، لدرجة أنه كان في وسط اللا-مكان.

«أرجوك، كن شيئًا هناك». كررت بطريقة تشبه المانترا[1] بينما كنت أقود ربع ميل نحوه. وكان هناك شيءٌ ما حقًّا.

عند الضوء، انحرفت عن الطريق، ودخلت في ساحة انتظار سيارات ملآنة بالحصى والتراب. لدهشتي، كان أمامي مبنى صغير أبيض مستطيل الشكل. كُتِب الاسم: «**مقهى الأسئلة**» باللون الأزرق الفاتح على السطح. كانت السيارات الأخرى في ساحة الانتظار مفاجأة بالقدر نفسه.

فكرتُ: «أيًّا كان المكان الذي جاءوا منه، لا يمكن أن يكون المكان نفسه الذي أتيتُ منه. لم أرَ شخصًا واحدًا خلال الساعتين الماضيتين».

ترجلت من السيارة وفردت ذراعيّ فوق رأسي مرات عدة لإزالة تيبُّس جسدي. قلت لنفسي: «آمل أن يعرفوا شيئًا لا أعرفه عن الخروج من المكان الذي أنا فيه أيًّا كان».

مشيت نحو المدخل. كانت السماء سوداء باستثناء هلال كبير وآلاف النجوم. عندما فتحت باب المقهى، أعلنت وصولي أجراسٌ صغيرة متصلة بمقبض الباب الداخلي.

---

(1) المانترا، في الحضارة الهندية، كلمة سنسكريتية تعني تعويذة إمَّا صوتية وإما من كلمة وإما من جملة تساعد في خلق تحول نفسي (المترجم).

لدهشتي، غمرتني موجة من الروائح الشهية عندما خطوت داخل المقهى. ما أدركت مدى جوعي حتى ذلك الحين.

فكرت: «لا أعرف ما الذي يُعدونه هنا، لكنني سأحصل على ثلاث طلبات مهما كان».

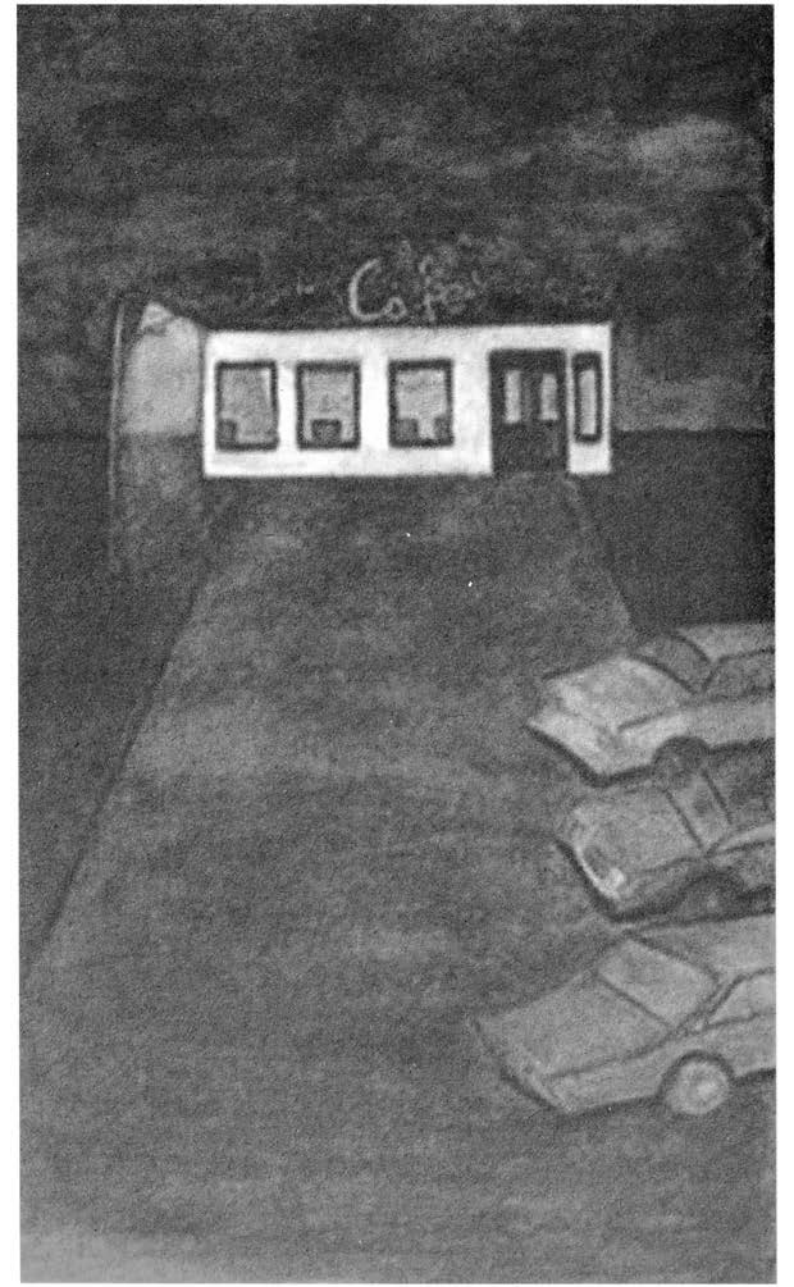
Café

5

في الداخل، كان المقهى يبدو كأنه مطعم قديم. اصطُفت مقاعد البار الطويلة فضية اللون، مع أسطح مبطنة حمراء، تحت منضدة بيضاء رفيعة وطويلة. تحت النوافذ الأمامية كانت ثمة سلسلة من المقصورات الحمراء مع طاولات بينها. كانت على الطاولات أوعية زجاجية تحتوي السكر، وإبريقًا فضيًا صغيرًا به ما افترضت أنه حليب للقهوة، فضلًا عن مملحة ومبهرة متطابقة.

ماكينة النقود القديمة كانت موضوعة على حامل بالقرب من الباب. بجانبه كانت هناك شماعة معطف خشبي. تراءى لي المقهى مريحًا. كان من نوعية الأماكن التي يمكنكَ الجلوس فيها والتحدث مدة طويلة مع الأصدقاء. لسوء الحظ، لم أحضر أيًا منهم معي.

توقفت نادلة عن التحدث إلى زوجين في إحدى المقصورات البعيدة. ابتسمت في وجهي، وقالت: «المقاعد كلها متاحة، اجلس حيثما تريد».

بذلت قصارى جهدي لتهدئة الإحباطات التي لا تزال

تغلي بداخلي، والتي تراكمت في أثناء قيادتي، وحاولت الابتسام مرة أخرى. ثم اخترت مقصورة بالقرب من الباب. عندما انزلقت فوق المقعد المصنوع من الفينيل الأحمر، لاحظت كيف يبدو جديدًا. استدرت ونظرت حولي وتفاجأت كيف يبدو كل شيء جديدًا.

فكرت في قرارة نفسي: «لابد أن المالك يتوقع نموًا حضريًا ضخمًا لبناء مقهى جديد هنا في وسط اللا-مكان».

«مرحبًا»، قاطعت أفكاري حول أسعار العقارات الرخيصة وفرص تطوير الإسكان في هذه المنطقة. كانت النادلة. أردفت: «اسمي كيسي... كيف حالك؟»

نظرت إليها: «مرحبا يا كيسي. أنا جون، وأنا تائه قليلًا».

أجابت بابتسامة خبيثة: «نعم، أنت كذلك يا جون».

من الطريقة التي قالت بها ذلك، لم أستطع معرفة إن كانت تؤكد أنني جون أم أنني تائه.

سألت: «لماذا أنت هنا يا جون؟»

سكتُ برهة قبل أن أقول: «حسنًا، كنت أسير بالسيارة وواجهت بعض المشاكل. وعندما حاولت التغلب عليها، انتهى بي المطاف بالضياع إلى حد كبير. وفي هذه العملية، أوشك وقود السيارة أن ينفد، وكدت أموت جوعًا».

ابتسمت كيسي ابتسامتها الخبيثة نفسها عندما أنهيت خطابي اللاذع عن الإحباط.

قالت: «سأخبرك بشيء، أنا متأكدة من أننا نستطيع مساعدتك في تجنب مشكلة الجوع. وفيما يتعلق بالباقي، علينا فقط أن نفكر ونرى».

مدت يدها، وأخذت القائمة من الحامل المجاور للباب الأمامي، وسلمتها لي. لم أكن متأكدًا إن كان السبب هو الضوء أو التعب الناتج عن القيادة مدة طويلة، لكن كان بإمكاني أن أقسم أن الحروف الموجودة في القائمة تلاشت وظهرت مرة أخرى عندما نظرت إليها.

فكرت: «لابد أنني متعب حقًّا»، ووضعت القائمة على الطاولة.

أخرجت كيسي دفتر طلبات صغيرًا من جيبها: «لماذا لا أحضر لك مشروبًا ريثما تنظر إلى القائمة؟».

طلبت كأسًا من الماء بالليمون، فغادرت لتجلبه لي.

أخذ هذا اليوم يتشكل حتى يكون أكثر بكثير مما ساومت عليه. في البداية، رحلة بالسيارة لساعات عدة في وسط اللا-شيء، ثم مقهى على حافة العالم، والآن نادلة بابتسامة خبيثة. التقطت القائمة من الطاولة، وقرأت الغلاف الأمامي.

كانت عبارة «مرحبًا بكم في مقهى الأسئلة» في النصف العلوي من الصفحة. وفي الأسفل، مكتوب بأحرف سوداء صغيرة، «قبل الطلب، يُرجى استشارة طاقم النُّدَّل لدينا حول ما يمكن أن يعنيه وقتك هنا».

قلت لنفسي وأنا أفتح الغلاف الأمامي: «آمل أن يعني ذلك أنني سأحصل على طعام جيد لآكله».

في الداخل، كانت القائمة تحتوي التشكيلة المعتادة من طعام المقاهي. أُدرِجت عناصر الإفطار على اليسار بالقرب من الأعلى: السندويشات في أسفل اليسار، والمقبلات، والسلطات في أعلى اليمين، والمقبلات أسفل ذلك. جاءت المفاجأة عندما قلبت القائمة. على الغلاف الخلفي كانت ثمة ثلاثة أسئلة تحت عنوان: «عناصر للتفكير فيها في أثناء الانتظار»:

لماذا أنت هنا؟ هل تخشى من الموت؟ هل أنت متحقِّق وراضٍ؟

قلت لنفسي: «لا يشبه ذلك بالضبط إلقاء نظرة سريعة على آخر الأخبار الرياضية». كنت على وشك إعادة قراءة الأسئلة الثلاثة عندما عادت كيسي ومعها الماء.

سألت: «هل تجد كل شيء على ما يُرام؟»

أشرت إلى الأسئلة الثلاثة، ثم إلى اسم المقهى.

«ماذا يعني كل هذا؟»

أجابت بغموض: «أوه!! يبدو أن كل شخص لديه تفسيراته الخاصة لذلك. والآن، ماذا يمكنني أن أحضر لك؟»

لم أكن مستعدًا للطلب. في الواقع، شعرت بالرغبة في استرجاع سترتي والمغادرة. كان ثمة شيء مختلف قطعًا في هذا المكان، ولم أكن مقتنعًا بأنه كان مختلفًا على نحو جيد.

لذا ماطلت: «آسف يا كيسي. أنا.. أحتاج وقتًا أطول قليلًا».

ابتسمت وهزت كتفيها. «حسنًا، خذ وقتك، وسوف أتفقدكِ ثانية بعد بضع دقائق». استدارت بعيدًا قبل أن تتوقف وتستدير إليَّ ثانية. قالت وهي تبتسم مجددًا: «وجون، استرخ. أنت بين أيدٍ أمينة هنا».

6

شاهدت كيسي وهي تسير نحو الزوجين في المقصورة الموجودة في الطرف الآخر من المقهى. وعندما وصلت إليهما، بدأ الثلاثة يتحدثون. مهما كان ما كانوا يناقشونه، فلا بد أنه كان جيدًا؛ لأنه في حوالي لحظات كانوا يبتسمون ويضحكون.

قلت لنفسي: «ربما ينبغي لي أن أحصل على بعض مما لديهم».

تنهدت ونظرت حولي. فكرت: «ليست هناك خيارات أخرى. تكاد تنفد قواي كلها. لم تكن هناك مطاعم أخرى خلال آخر مائتي ميل. وبالرغم من أن هذا المكان يبدو غريبًا بعض الشيء، إلا أنه لم يحدث أي شيء غير عادي هنا حقًّا حتى الآن».

هدَّأني ذلك قليلًا. تبخرت مخاوفي أكثر حتى بعد بضع دقائق. تركت كيسي الطاولة الأخرى وتوجهت إلى المطبخ. الآن كانت تسير جواري وهي تحمل طبقين من الفطيرة.

علَّقت أثناء مرورها، ولاحظت أنني أنظر إلى ما كان في الطبقين: «فطيرة الفراولة بالراوند. أفضل فطيرة في الأرجاء. فكِّر فيها في طلبكَ».

أجبتها متفاجئًا: «همم». كانت فطيرة الفراولة بالراوند المفضلة لدي عندما كنت طفلًا. بالكاد يعدَّها أي أحد، وقد مرَّت سنوات منذ أن تناولت أيًّا منها.

فكرت: «ربما تكون هذه علامة أنه يجب أن أمكث هنا لبعض الوقت».

نظرت إلى القائمة مرة أخرى. بصرف النظر عن الأسئلة الغريبة، تبدو الأكلات جيدة. قررت طلب طبق الإفطار، مع أن ساعات الإفطار المعتادة قد انتهت منذ مدة طويلة. نظرت إلى الأعلى، لكن كيسي كانت تتحدث إلى الزوجين. لذلك بعد اتخاذ قراري، قلبت القائمة إلى الخلف مرة أخرى حيث الأسئلة الثلاثة.

لماذا أنت هنا؟

يبدو أنه سؤال غريب أن تطرحه على زبونك. ألا ينبغي للمالك أن يعرف بالفعل سبب وجود أحدهم في مطعمه؟ ألا ينبغي للأشخاص الذين يتناولون الطعام في المطعم أن يعرفوا سبب وجودهم؟

لماذا أنت هنا؟

أخرجتني عودة كيسي من أفكاري.

سألت بابتسامة: «هل أنت جاهز؟»

كنت على وشك الرد بـ: «نعم»، ولكن بعد ذلك تذكرت الرسالة من مقدمة القائمة عن استشارة النُّدَّل قبل الطلب. رددت: «أعتقد ذلك». ثم أشرت إلى الرسالة: «ما الذي أحتاج إلى سؤالكِ عنه بالضبط؟»

أجابت: «أوه»، وابتسمت مرة أخرى.

بدأت تروقني ابتسامتها حقًّا.

«على مر السنين لاحظنا أن الناس يشعرون بأنهم مختلفون بعد قضائهم بعض الوقت هنا». استطردت: «لذا الآن نحاول أن نساعدهم في التأقلم مع تجربة «لماذا أنت هنا» بأكملها. نحن نشاركهم القليل مما قد يتوقعونه، في حالة عدم استعدادهم تمامًا لما اعتقدوا في الأصل أنهم قادرون على التعامل معه».

«هاه؟» كان هذا كل ما يمكن لعقلي تسجيله من كلامها. لم تكن لدي أي فكرة عما تقصده. هل كانت تتحدث عن الطعام، عن المقهى نفسه، عن شيء مختلف تمامًا...؟

قالت: «إن كنت ترغب في ذلك، فيمكنني أخذ طلبك

إلى الطباخ والحصول على رأيه بشأن ما قد يكون أفضل».

«حسنًا، متأكدة؟» أجبت بتردد، وشعرت بمزيد من الارتباك «أعتقد ذلك» أشرت إلى القائمة، «أريد طبق الإفطار أعلم أنه ليس وقت الإفطار بعد الآن هل لا يزال من المقبول طلب ذلك؟»

سألت: «هل هذا ما تريده؟»

أومأتُ.

«إذًا أنا متأكد من أنها لن تكون مشكلة بعد كل شيء، نحن أقرب إلى موعد إفطار الغد من موعد غداء اليوم».

ألقيت نظرة على ساعتي. قلت: «هذه طريقة شيِّقة للنظر إلى الأمر». هزت كيسي كتفيها قائلة: «في بعض الأحيان يكون من المفيد النظر إلى الأمور من منظور مختلف».

7

اقتربت كيسي من نافذة الطلبات التي توصِّل إلى المطبخ، وللمرة الأولى، أدركتُ وجود رجل هناك. كان يحمل ملعقة تقديم خشبية في إحدى يديه، ويبدو أنه الطبَّاخ. عندما وصلت كيسي إلى النافذة، قالت له شيئًا. نظر إليَّ ورأى أنني كنت أنظر في اتجاهه. ابتسم ولوّح بيده.

بادلته التلويح بتردد شاعرًا بنوعٍ من السخافة. ليس من عادتي التلويح للطهاة في المقاهي. واصلت كيسي والرجل الحديث، لذلك أعدت انتباهي إلى القائمة. بعد لحظات قليلة، بينما كنت أعيد قراءة السؤال الأول - «لماذا أنت هنا؟» - عادت كيسي وجلست أمامي.

قالت: «هذا مايك. إنه يملك هذا المكان ويقوم بكل أعمال الطهي. قال أنه سيخرج ويقابلك عندما تُتاح له الفرصة. سألته عن طلبك. قال أنه سيكون كثيرًا، لكنه يعتقد أنه بوسعك تناوله كله».

أومأت برأسي، لست متأكدًا حقًّا من كيفية الرد على ذلك. «شكرًا. هذا آه. . . ، خدمة ممتازة».

ابتسمت: «نحن نبذل قصارى جهدنا». مدت يدها والتقطت القائمة التي كنت أنظر فيها وقلبتها إلى الأمام. قالت: «هناك شيء آخر حول هذا»، وأشارت إلى المكان الذي يُذكر فيه استشارة طاقم النُّدَّل. «إنه يتعلق بالسؤال الأول الذي تستمر في قراءته». قلبت القائمة مرة أخرى، وأعادتها فوق الطاولة، الأسئلة تواجهني.

لم أكن متأكدًا من كيفية علمها أنني كنت أقرأ السؤال، ولم أجب.

وتابعت: «كما ترى، النظر إليه شيء. لكن تغييره شيء آخر».

نظرت إليها في حيرة: ماذا تقصد بتغييره؟

قالت: «يبدو بسيطًا كما لو أنه لن يكون له أي تأثير. ولكن إن عدَّلت بضعة أحرف فقط في هذا السؤال، فسيغيِّر أشياء».

أجبت بتردد: «يغيِّر أشياء؟ مثل ماذا؟ لن أتمكن من تناول الطعام هنا، أو سأضطر إلى طلب شيء مختلف.

أجابت وهي تهز رأسها ببطء: «لا، تغييرات أكبر».

لم أعرف إن كان السبب ما قالته، أو حدَّة صوتها، ولكن مع «تغييرات أكبر»، سرت قشعريرة في ذراعي. وبينما

ما كانت لديَّ أي فكرة عما كانت تتحدث عنه، فمن الواضح أنها لم تكن تمزح.

قلت: «لست متأكدًا من أنني أفهمكِ».

أشارت كيسي إلى القائمة مرة أخرى. «إن غيَّرت السؤال من شيء تسأله شخصًا آخر، وبدلًا من ذلك جعلته شيئًا تطرحه على نفسك، فلن تظل الشخص نفسه بعد الآن».

فكرت: «ماذا؟ لن أعود الشخص نفسه بعد الآن؟ ماذا بحق الجحيم يعني ذلك؟ مكتبة سُر مَن قرأ

وفجأة، اجتاحني إحساس غريب. كما لو كنت أقف على نحو غير مستقر على مقربة من حافة جرف شديد الانحدار، ولو اتخذت خطوة واحدة إلى الأمام، فسوف يجلب ذلك لي إمَّا الموت الفوري وإما السعادة الأبدية.

وعلقت كيسي قائلة: «إنه شيء من هذا القبيل». ثم ابتسمت: «ولكن ليس بهذه الصرامة».

قبل أن أسألها: كيف عرفت ما كنت أفكر فيه؟ قالت: «ماذا لو أوضحت لك ذلك دون أن تضطر إلى اتخاذ تلك الخطوة؟»

أشارت نحو القائمة. «اقرأ السؤال الأول، ولكن اقرأه بالطريقة المنفصلة التي قد تلقي بها نظرة على إحدى اللافتات أثناء مرورك جوارها».

نظرت إليها حائرًا.

قالت: «هيا».

نظرت مدة وجيزة في القائمة. لدهشتي، تحوَّل السؤال ببطء من: «لماذا أنت هنا؟» إلى: «لماذا أنا هنا؟».

حالما انتهيت من قراءته، تغيَّر السؤال إلى صيغته الأولى.

نظرت إلى كيسي، ثم إلى القائمة، ثم إلى كيسي مرة أخرى. بدأت أتحدث: «هل رأيتِ..؟ هل القائمة تغيَّرت فحسب...؟ هل حدث ذلك؟»

أجابت: «لست متأكدة من أنكَ مستعد لتلك الإجابة».

سألت وأنا أرفع صوتي قليلًا: «ماذا تقصدين؟» نظرت إلى القائمة مجددًا، ثم إلى كيسي ثانية. «هل كان أنتِ؟ هل جعلتِ الكتابة تتغير، بطريقة محددة؟»

كنت حائرًا بشأن ما كان يحدث ولم أكن متأكدًا من أنها فكرة جيدة أن أمكث في الأنحاء واكتشف.

نظرت كيسي إلي غير منزعجة. «جون، هل رأيت ما تحول إليه النص الموجود في القائمة؟»

«نعم. كان شيئًا عندما نظرت إليه لأول مرة، ثم تغير من

تلقاء نفسه، والآن عاد إلى صيغته الأولى. لماذا؟ وكيف؟»

صمتت كيسي هنيهة قبل أن تقول: «الأمر هكذا يا جون. السؤال الذي رأيته، السؤال الذي كان مختلفًا...».

قاطعتها: «سؤال: لماذا أنا هنا؟»

أومأت برأسها بهدوء: «نعم، هذا. ليس سؤالًا يجب أن يؤخذ باستخفاف. إلقاء نظرة خاطفة عليه شيء. ولكن عندما تتجاوز هذه النظرة العابرة وتراه فعليًّا، ثم تسأل نفسك عنه حقًّا، يتغير عالمك».

التقطت القائمة، وقلبتها، وأشارت إلى المكان الذي طُبِعت فيه عبارة: «قبل الطلب...».

«أعلم أن هذا يبدو معقدًا. ولهذا السبب وضعنا هذه الرسالة في مقدمة القائمة».

8

بينما جلست هناك أنظر إليها، أذهلتني سخافة وضعي برمته. كنت في مقهى، في منتصف الليل، في مكان مجهول، أسمع عن الرسائل الموضوعة في مقدمة قائمة الطعام لمساعدة الزبائن على التعامل مع تغيُّر عوالمهم.

لم تكن هذه بالتأكيد البداية النموذجية لقضاء عطلتك. وكم كانت معرفتي محدودة! إذ كانت مجرد بداية لما تخبئه لي الأمسية.

بدت كيسي غير منزعجة من حيرتي. «كما ترى يا جون، ما أن تطرح السؤال الذي تراه حقًّا على نفسك، حتى يصبح البحث عن الإجابة جزءًا من كيانك. ستجد نفسك تستيقظ مع هذا السؤال أول شيء في الصباح، ويتبادر إلى ذهنك باستمرار خلال اليوم. ومع أنك قد لا تتذكر ذلك، إلا أنك ستفكر في السؤال أثناء نومك أيضًا».

توقفت للحظة، «إنه يشبه إلى حدٍّ ما بوابة. حالما تفتحها، تناديك».

نظرت إليها مصدومًا: «بوابة؟»

أومأت برأسها، وأصبح صوتها أكثر حدَّة ثانية، «وما إن تفتحها، حتى يصبح من الصعب جدًّا إغلاقها».

استندت بظهري إلى المقعد، محاولًا استيعاب جزء مما كانت تخبرني به، أو لماذا. بوابات، وأجزاء من كياني، أصوات تناديني... لم تكن لدي أي فكرة عما كانت تتحدث عنه.

ومع ذلك، كان ثمة شيء واحد واضح تمامًا. سؤال: «لماذا أنت هنا؟» الموجود في القائمة يحمل بين طياته مقصدًا أعمق بكثير مما كنت أعتقد عندما قرأته أول مرة. من الجلي أن الأمر يتجاوز كونه مجرد سؤال عن سبب وجود أحدهم في المقهى.

قاطعت كيسي أفكاري قائلة: «هذا صحيح. الأمر لا يتعلق بالمقهى. إنه يسأل: لماذا يوجد أحدهم في المطلق؟».

نظرت حولي مذهولًا وأكثر حيرة حتى. تساءلت: «أي نوع من الأمكنة هذا المكان؟»

استقرت عيني على كيسي، لكنها ابتسمت، وهزت كتفيها، ولم تقل أي شيء آخر. حاولت أن أجمع شتات نفسي. «استمعي يا كيسي، شكرًا لك على إخباري بكل

ذلك... إنه.. لطف منك. ولكنني أتيت هنا فقط من أجل بعض الطعام. هذا كل شيء».

سألت: «حقًّا؟»

أجبت ببطء: «أنا متأكد تمامًا».

أومأت برأسها فحسب ردًّا على ذلك.

قلت محاولًا ملء الصمت غير المريح، «علاوة على ذلك، يبدو أن طرح ذاك السؤال يأتي مع الكثير من العواقب. ربما من الأحسن ترك ذاك السؤال وشأنه فحسب، كما تعرفين». أضفت: «بسبب «البوابات» و«الأشياء التي تتبادر باستمرار في ذهنك»...».

واصلت كيسي النظر إليَّ دون أن تتحدث.

اندفعت قائلًا: «لست متأكدًا من السبب الذي قد يدفع أي شخص إلى طرح هذا السؤال، في الواقع، أعني أنني لم أطرحه على نفسي قط، وأنا بخير».

ألقت كيسي نظرة سريعة على القائمة، ثم عاودت النظر إليَّ. كسرت صمتها أخيرًا، وسألتني: «هل أنت بخير حقًّا؟» قالت كلمة «بخير» مع شيء من السخرية الودِّية، كما لو كانت تستفزني لتعريفها. «كثير من الناس بخير. لكن البعض ينشدون شيئًا أكثر إرضاءً من بخير، شيئًا أعظم».

سألتها بتهكم: «ولهذا يأتون إلى مقهى الأسئلة؟»

أجابت بصوت هادئ وناعم: «البعض منهم يفعل ذلك... أهذا سبب وجودك هنا؟»

اندهشت، ولم أعرف كيف أجيب على سؤالها. لم أكن متأكدًا مما كنت أفعله هنا. لم أكن متأكدًا حتى من أنني أعرف ماهيَّة هذا المكان.

لو كنت صادقًا تمامًا مع نفسي، لاعترفت أنني لسنوات كنت أتساءل إن لم يكن هناك في الحياة أكثر مما أعرفه بالفعل. لم يكن الأمر أن الحياة كانت سيئة. بالتأكيد كانت الحياة مُحبِطة في بعض الأحيان، خاصة في الآونة الأخيرة. ولكن كانت لدي وظيفة لائقة وأصدقاء جيدون. كانت الحياة بخير، بل جيدة حتى. ومع ذلك، كان هذا الشعور يجول في مؤخرة ذهني، ولم أستطع تفسيره تمامًا.

تدخَّلت كيسي: «هذا الشعور ما يلهم الناس لطرح السؤال الذي رأيته».

فاجأني تعليقها. لم يكن الأمر مجرد أنها بدت كأنها قرأت أفكاري مرة أخرى، مع أن ذلك وحده كان مربكًا للغاية، بل كان إحساس أنها ربما تكون على حق الذي ساورني.

استنشقت نفسا طويلًا وبطيئًا. كان إحساس الجرف شديد الانحدار الذي شعرت به سلفًا يغمرني مرة أخرى. شيء ما أخبرني أن ألقي نظرة خاطفة من فوق الحافة.

قلت بتردد: «حسنًا، ما الذي تجب معرفته أيضًا عن ذاك السؤال؟»

9

ابتسمت كيسي وأومأت برأسه ببطء: «حسنًا، كما قلت سابقًا، طرح ذلك السؤال يفتح بوابة من نوعٍ ما. عقل الشخص، أو روحه، أو أي طريقة تختارها لتعريفه بها، سوف يرغب في معرفة الإجابة. وإلى أن يحدث ذلك، سيبقى السؤال في صدارة وجودهم».

نظرتُ إليها في حيرة: «هل تقولين أنه بمجرد أن يسأل أحدهم نفسه: «لماذا أنا هنا؟» يغدو هذا كل ما يمكنهم التفكير فيه؟»

هزت رأسها: «ليس بالضبط. منهم من ينظر إليه نظرة عابرة، يراه حتى، ثم ينساه». ترددت قبل أن تتابع: «لكن بالنسبة لأولئك الذين يطرحون السؤال ويريدون حقًّا معرفة الإجابة على مستوى ما، يصبح تجاهل الأمر صعبًا للغاية».

سكت هنيهة وحاولت استيعاب ذلك، ثم قررت إلقاء النظر أكثر من فوق حافة الجرف. سألت: «وإذا طرح أحدهم السؤال ثم وجد الإجابة؟ ماذا بعد؟»

ابتسمت كيسي، «حسنًا، هذه الأخبار الجيدة والأخبار الصعبة».

أجبت مترددًا: «حسنًا».

انحنت إلى الأمام قليلًا: «كما ذكرت، طرح السؤال يخلق محفِّزًا للبحث عن الإجابة. حالما تجد الإجابة، تظهر قوة هائلة بالقدر نفسه. كما ترى، ما إن يعرف المرء لماذا هو هنا، سبب وجوده، والغاية الأساسية لكونه حيًّا- سيرغب في تحقيق هذا السبب. فكِّر فيه مثل رؤية علامة X على خريطة كنز. ما إن تعرف مكان X يصبح من الأصعب تجاهل الكنز، من الأصعب ألا تلاحقه. في هذه الحالة، ما إن يعرف المرء لماذا هو هنا، يصبح من الأصعب عاطفيًّا، وحتى ماديًّا ألا يحقق غاية وجوده».

أرجعت ظهري إلى الوراء مجددًا محاولًا فهم ما كانت تقوله كيسي. أجبتها بعد لحظة: «إذًا قد يجعل الأمور تسوء فعليًّا. كما قلت سلفًا، قد يكون من الأفضل لأي شخص ألا يطرح السؤال أبدًا. يمكنه أن يستمر كما كان، ويُبقي بالعفريت داخل القمقم، إن جاز التعبير».

نظرت إليَّ وأومأت برأسها: «بعض الناس يختارون ذلك. هذا شيء يجب على كل شخص، عندما يصل إلى هذه النقطة، أن يقرره بنفسه».

جلست بصمت لبضع لحظات غير متأكد من كيفية الرد. عاد ذهني إلى مدة وجودي في السيارة. كم كنت متحمسًا لرؤية الضوء أخيرًا عندما كنت ضائعًا. الآن لم أكن متأكدًا من ذلك.

قلت أخيرًا: «ثمة الكثير لاستيعابه نوعًا ما».

أومأت كيسي برأسها، وابتسمت: «هل تعرف هذا الشعور الذي ساورك في وقت أبكر؟ ليس شيئًا يمكن أن يقال لك أو يُملى عليك، وإن قررت في أي وقت الابتعاد عنه، فسيكون الخيار لك وحدك».

جلسنا في صمت للحظة. أضافت كيسي وهي تنهض: «بالحديث عن الابتعاد.. حان الوقت للتحقق عن مدى جاهزية وجبة الإفطار الخاصة التي طلبتها».

مع كل حدة نقاشنا، كدت أنسى الطعام الذي طلبته. أعادني تعليق كيسي إلى إدراك أنني كنت لا أزال في المقهى، وما زلت أتضور جوعًا.

10

بينما كنت أشاهد كيسي وهي تتجه إلى المطبخ، وجدت ذهني يلُف. نظرت إلى القائمة وأعدت قراءة السؤال الأول:

لماذا أنت هنا؟

كان لهذا السؤال معنى مختلف تمامًا الآن مقارنة بالمرة الأولى التي قرأته فيها. حاولت أن أتذكر الكلمات الدقيقة التي استخدمتها كيسي. يطرح تساؤلًا: لماذا يوجد أحدهم في المطلق؟

على مستوى محدد لم أتمكن من شرح الأمر تمامًا، شعرت كأنَّ شيئًا ما كان يشدَّني لأسأل ما الذي رأيت السؤال يتحول إليه. تذكرت ما كان عليه.

لماذا أنا هنا؟

وتذكرت أيضًا تعليقات كيسي عمَّا قد يحدث إن فعلت ذلك. التداعيات المحتملة.

رفعت عينَيَّ عن القائمة، وفركتهما، وقلت لنفسي بعد لحظة: «هذا أمر سخيف». التقطت كأس الماء، ونظرت من

خلال النافذة إلى الظلام خلف ساحة انتظار المقهى. «أعني: ماذا أفعل؟ لا أحتاج سوى بعض الطعام، والقليل من البنزين، ومكان لأبيت فيه بضع ساعات. هذا كل شيء».

استدرت وبحثت عن كيسي. لم تكن في أقصى المقهى، حيث كان يجلس الآخرون. عندما التفت إلى يميني لأرى إن كانت عند ماكينة النقود، أدركت أن مايك كان يقف على بعد بوصات من طاولتي، ممسكًا بإبريق ماء.

سأل: «هل يمكنني أن أعيد ملء كأسك؟ يبدو أنك ربما مستعد للمزيد».

كدت أن أسقط كأسي من فرط الدهشة. لم يكن هناك قبل ثانية واحدة. تمكنت من التعافي بما يكفي للرد: «آه، بالتأكيد».

قال في حين يملأ كأسي الشفاف: «اسمي مايك».

أومأت برأسي وأنا أحاول جمع شتات نفسي. كيف رنا إلى طاولتي دون أن أسمع شيئًا؟

«تشرفت بلقائك يا مايك. أنا جون».

ابتسم مايك: «هل أنت بخير يا جون؟ يبدو أنك كنت تفكر بعمق عندما مشيت نحوك».

أجبت: «أوه، نعم. شيء من هذا القبيل».

سأل وهو ينظر إليَّ عن كثب: «هل أنت متأكد أنك على ما يُرام؟»

دون أن أعرف حقًّا ما أقوله، التقطت القائمة وقلبتها إلى مقدمتها. «كانت كيسي تشرح لي ما يعنيه النص الموجود في مقدمة قائمتكم». تلعثمت نوعًا ما. «أنا... كنت أحاول أن أفكر فيه، وأرى إن كان يعني أي شيء بالنسبة إليّ».

كانت الكلمات بالكاد تخرج من فمي، وأدركت مدى غرابتها. لم يبدُ مايك متفاجئًا طوال الوقت.

أومأ برأسه قائلًا: «نعم، هذه مسألة صعبة. يواجهها الناس في أوقات مختلفة من حياتهم. البعض يتعاملون معها عندما يكونون أطفالًا صغارًا، والبعض الآخر عندما يكبرون، والبعض الآخر لا يفعل ذلك قط». توقف مؤقتًا: «إنه مضحك بهذه الطريقة».

كان لمايك حضور هادئ للغاية. تراءى لي شخصًا جال العالم مرات عدة، وخرج من الجانب الآخر منه حاملًا بعض الحكمة الحياتية الكبرى. كان من الغريب أن أشعر بذلك، إذ إنني التقيت به للتو. ولكن مرة أخرى، بدا المقهى بأكمله غريبًا.

ترددت للحظة غير متأكد أين أمضي بالمحادثة.

مد مايك يده نحو الطاولة، وقلب القائمة مرة أخرى. ابتسم: «وكيف تسير الأمور مع هذه؟»

أجبت ببطء: «تسير جيدًا».

سأل: «لكنك كنت تتساءل نوعًا ما...؟»

سكت هنيهة. فكرت بعد لحظة: «ماذا بحق الجحيم؟ ربما يجدر بي أن أسأل».

قلت مشيرًا إلى السؤال الأول في القائمة: «شرحت لي كيسي قليلًا عما يحدث إن طرح شخصٌ على نفسه نسخة شخصية من هذا السؤال».

أومأ برأسه، ويبدو أنه غير منزعج من الاتجاه الذي كنت أقود إليه المحادثة.

«و؟»

أجبته: «وأعتقد أن جزءًا مني كان يتساءل عما سيفعله المرء بعد ذلك؟»

أومأ مايك برأسه قائلًا: «هل تقصد بعد طرح السؤال أم بعد العثور على الإجابة؟»

نظرت إليه، غير متأكد. أجبت بتردد: «كلاهما، أعتقد. أنا وكيسي لم نتقدم كثيرًا في محادثتنا. شرحت كيسي فحسب القليل عمَّا سيكون عليه الأمر ما إن يطرح المرء السؤال».

أومأ مايك برأسه مرة أخرى قائلًا: «حسنًا، فيما يتعلق

بكيفية العثور على الإجابة، لا أعتقد أن ثمة طريقة واحدة فحسب تناسب الجميع. جميعنا نتعامل مع الحياة بأسلوبنا الخاص».

توقف هنيهة قبل أن يضيف: «إن كنت تريد، فيمكنني أن أخبرك ببعض الأساليب التي يستخدمها الأشخاص الذين أعرفهم والذين وجدوا إجابتهم».

فكرت في الرد، لكن لم أفعل. كان لديَّ حدس بأن امتلاك بصيرة للعثور على إجابة لهذا السؤال قد يزيد من صعوبة عدم طرحه حتى.

علق مايك: «هذا صحيح. النظرية نفسها التي ربما شرحتها لك كيسي».

قلت لنفسي: «عظيم. من الواضح أنه يستطيع أيضًا قراءة أفكار الناس».

لم أكن متأكدًا من رغبتي في أن يخبرني بما فعله الآخرون. بعد كل شيء، لم أكن متأكدًا من أنني أريد أن تكون لي أي علاقة بهذا السؤال.

سألت وأنا أحاول المماطلة وتغيير دفة المحادثة: «ماذا عن الشق الآخر؟ ماذا يفعل أحدهم عندما يعرف إجابته على السؤال؟»

نظر إليَّ مايك للحظة وابتسم: «سأخبرك بأمرٍ ما، لديَّ حدس أن طلبك ربما صار جاهزًا تقريبًا. اسمح لي أن أذهب للتحقق من ذلك. من المهم أن يحدث كل شيء في الوقت المناسب».

نظرت إليه حائرًا.

تابع: «أنت تعلم. لا أريد أن يُطهى أي شيء من طلبك بسرعة كبيرة أو يُطبخ أكثر من اللزوم».

أومأت برأسي كأنني فهمت ما كان يتحدث عنه.

وبينما كان يبتعد، استنشقت نفسًا وزفرته ببطء. على الأقل كانت المماطلة ناجحة.

توجَّه مايك إلى المطبخ، وبعد لحظات قليلة عاد ومعه صينية تزخر بالأطباق. سألت متعجبًا: أي وصف من فقرتين عن طعامي فوَّته في القائمة: «هل كل هذا من أجلي؟»

أومأ برأسه قائلًا: «بالتأكيد. طبق إفطار واحد مكتمل بعجة البيض والخبز المحمص ولحم الفخذ، ولحم الخنزير المقدد، والفواكه الطازجة، وهاش براونز[1]، والبسكويت، وطبق جانبي من البان كيك».

---

(1) هاش براونز: وصفة بسيطة لتحضير البطاطس، وهي وجبة فطورٍ رئيسة في أمريكا الشمالية، حيث تُفرم البطاطس، وتُقلى حتى تصبح

نظرت حولي لمعرفة إن كان ثمة شخصان أو ثلاثة آخرين مهتمين بالانضمام إليَّ.

أشار مايك نحو مجموعة من البرطمانات والحاويات الصغيرة الموجودة على أحد جانبي الصينية. «فضلًا عن ذلك، لدينا: هلام للخبز المحمص، ودبس للپان كيك، وعسل للبسكويت، وصلصتنا المميزة من أجل عجة البيض». ابتسم قليلًا: «أنا سعيد لأنك جائع».

أجبته وأنا أنظر إلى الطعام كله: «لست متأكدًا من أن أي أحد جائع إلى هذه الدرجة».

ابتسم مرة أخرى وهز كتفيه قائلًا: «سوف تتفاجأ يا جون. في بعض الأحيان، لا تعرف مدى استعدادك لشيء مُشبع».

نقل مايك جميع الأغراض من الصينية فوق طاولتي، ثم نظر إليَّ: «جون، أحتاج إلى الذهاب للتحدث مع الزوجين في الطرف الآخر من المقهى لبعض الوقت. إن أحببت ذلك، فسأعود بعد قليل، ويمكن مواصلة محادثتنا إن كان هذا مناسبًا لك».

نظرت إلى كل الأطباق أمامي. أجبته: «بالتأكيد، لا مشكلة».

بنية. في أغلب الأحيان تكون البطاطس مَضْغُوطة مع بعض المواد الأخرى لإزالة الرطوبة ولإعطائها قوام أكثر هشاشة. (المترجم).

11

كنت منهمكًا في تناول: العجة، والخبز المحمص، والفاكهة عندما جاءت كيسي: «كيف حالك يا جون؟»

انتهيت من مضغ اللقمة التي وضعتها للتو في فمي: «أنا بخير. في الواقع بخير حقًّا. هذا الطعام رائع».

«يبدو أنك في حالة معنوية أفضل».

كنت في حالة معنوية أفضل. مشاعر الإحباط التي كانت تغمرني عندما دخلت المقهى أول مرة، تلاشت تمامًا تقريبًا.

سألت كيسي: «هل تود إنهاء الوجبة بمفردك أم تفضل بعض الرفقة؟»

أجبت: «الرفقة. بالتأكيد الرفقة». سكتُّ لحظة، ثم قلت بشيءٍ من التردد: «أودُّ أن أواصل المناقشة التي أجريناها سابقًا، في الواقع. كنت أفكر فيها أثناء جلوسي هنا، ولديَّ بعض الأسئلة».

ابتسمت كيسي وانزلق داخل المقصورة المقابلة لي: «حسنًا».

مددت يدي إلى القائمة في أقصى نهاية الطاولة، ووضعتها بيننا. «حسنًا، الأمر يتعلق بهذه»، قلت وأشرت إلى الأسئلة: «لنفترض أن أحدهم سأل نفسه عن سبب وجوده هنا، وفي النهاية اكتشف السبب...» ترددت، «ثم ماذا؟»

سكتت كيسي بضع لحظات، «أولًا وقبل كل شيء، يمكنهم أن يفعلوا ما يحلو لهم بهذه المعرفة. اكتشفوها، وهي ملك لهم. لديهم القرار النهائي والكامل حول ما سيحدث تاليًا»، ثم نظرت وقالت: «ماذا تعتقد أنهم يجب أن يفعلوا؟»

فكرتُ للحظة: «أفترض أنه لو اكتشف أحدهم غاية وجوده هنا، فسيرغب في اتخاذ خطوات لتحقيق هذه الغاية. لست متأكدًا من كيفية فعل ذلك».

نظرت إلى كيسي، وشعرت أنها تعرف شيئًا ما، لكنها كانت تنتظرني لأكتشفه بنفسي.

قالت بعد لحظة: «إنه أمر فردي».

نظرتُ إليها: «ماذا عن تلميح؟»

فأجابت: «ربما يكون المثال مفيدًا. لنفترض أنك تريد أن تصبح فنانًا في وقت فراغك. ما نوع الفن الذي ستبتكره؟»

فكرت للحظة: «لا أعرف. أفترض أن الأمر سيعتمد على نوع الفنان الذي أردت أن أكونه. أعتقد أنني سأقوم بابتكار أيًّا كان ما أردته».

صمت وانتظرت تعليقها. لم تقل شيئًا، لذلك فكرت في إجابتي.

سألت: «هل الأمر بهذه البساطة؟ ما أن يعرف أحدهم غاية وجوده هنا، يفعل ما يريده بما يحقق غايته؟»

بينما أقول هذه الكلمات، شعرت بإحساس بالإثارة يسري في جسدي. كان كما لو أنني اكتشفت للتو شيئًا فريدًا ومهمًّا، وكان جسدي يؤكد ذلك. بدا الأمر بسيطًا جدًّا، واعتقدت أنه ربما كان بسيطًا جدًّا حتى يكون حقيقيًّا. افعل ما تريد والذي سيحقق غاية وجودك هنا.

سألت بحماس، مُرحِّبًا بهذه الفكرة: «إذن لو كانت غاية وجودي هنا مساعدة الناس، فيجب أن أفعل كل ما أريد والذي يتناسب مع تعريفي لمساعدة الناس؟»

أجابت كيسي: «صحيح. إنْ كان تعريفك لمساعدة الناس يعني الانضمام إلى مهنة الطب، فافعل ذلك. إن كان ذلك يعني بناء ملاجئ في منطقة فقيرة، فافعل ذلك. ربما تشعر أن العمل محاسبًا، ومساعدة الناس في دفع ضرائبهم

هي الطريقة التي تريد مساعدتهم بها. في هذه الحالة افعل ذلك».

كان ذهني يلف قليلًا. لم أفكر حقًّا في الحياة في هذا السياق من قبل. اتخذت معظم قراراتي استجابةً لأشياء، مثل: نصائح الأسرة، والضغوط الاجتماعية، وآراء الناس، وأشياء أخرى. كان هذا مختلفًا جدًّا.

سألت: «إذن ماذا لو كنت هنا لتجربة ما يعنيه أن أكون مليونيرًا؟»

أجابت كيسي: «إذًا عليك أن تفعل ما يناسب تعريفك لـ «أن تكون مليونيرًا». إن كان ذلك يعني التواصل مع أصحاب الملايين، فافعل ذلك. إن كان ذلك يعني العمل حتى تحصل على مليون دولار، فافعل ذلك. وكما هو الحال في الأمثلة الأخرى، فالخيار لك دائمًا».

قلت وأنا أشعر بالحماس أكثر فأكثر: «أن أكون مليونيرًا. أحب ذلك التصور نوعًا ما. يمكنني شراء بعض السيارات الجديدة، وربما بضعة منازل...».

أصبح صوت كيسي هادئًا. قالت: «لا بأس في كل ذلك. باستثناء، هل هذه غاية وجودك هنا؟»

سؤالها جعل عقلي يتوقف عن اللف. «لا أعرف».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «أنا ومايك لدينا لفظ اختصار[1] صغير نستخدمه. إنه يتعلق بالسؤال الذي رأيته لمدة مقتضبة عندما كنا نتحدث من قبل».

ألقيت نظرة خاطفة على القائمة.

لماذا أنت هنا؟

شاهدت السؤال بذهول وهو يتحول إلى: لماذا أنا هنا؟

نظرت إلى كيسي. ابتسمت فحسب وأردفت: «عندما يعرف الشخص غاية وجوده هنا، يكون قد حدد «غايته من الوجود». نحن نسميه غ. م. و للاختصار. خلال حياة أحدهم، قد يجد عشرة أو عشرين أو مئات الأشياء التي يريد القيام بها لتحقيق غايته من الوجود. في واقع الأمر، زبائنا الأكثر رضا وتحقُّقًا هم أولئك الذين لا يعرفون غايتهم من الوجود، بل يسمحون لأنفسهم أيضًا بتجربة الأنشطة كلها التي يعتقدون أنها ستحققه».

سألت بتردد قليلًا: «والزبائن الأقل رضا؟»

قالت ببطء: «يفعلون الكثير من الأشياء أيضًا».

---

(2) لفظ اختصار أو أكرونيوم أو اللفظة الأوائلية: لفظ مركب من أوائل حروف مجموعة من الكلمات من باب اختصارها. (المترجم).

سكت في انتظارها لتقول المزيد. لم تفعل. ثم خطرت ببالي فكرة. سألت: «يفعلون الكثير من الأشياء التي ليست جزءًا من غ. م. و، أليس كذلك؟»

أومأت كيسي.

جلست في صمت لبعض الوقت أفكر. قلت: «يبدو الأمر بسيطًا جدًّا. لكن في الوقت نفسه يبدو محيرًا جدًّا أيضًا».

سألت كيسي: «ماذا تقصد؟»

«لا أعرف. مجرد فكرة اكتشاف ما يمكن أن يساعدني في تحقيق غايتي في الوجود... يتراءى لي ذلك مهمة مهولة. لا أعرف من أين أبدأ حتى».

أجابت بسؤال. بدأت ألاحظ أنها فعلت ذلك كثيرًا. سجون، لنفترض أنك حددت غايتك من الوجود بناء سيارات رياضية. وقررت أنك تود تحقيق غ. م. و ذاك. ماذا كنت ستفعل؟»

فكرت للحظة. «أفترض أنني سأقرأ الكثير عن السيارات الرياضية. ربما سأزور مكانًا يصنعونها فيها، أو أتصل ببعض الأشخاص الذين بنوها في الماضي وأحصل على نصائحهم. أعتقد أنني قد أحاول الحصول على وظيفة، حيث يصممون أو يجمِّعون السيارات الرياضية».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «هل ستمكث في مكانٍ واحد؟ هل ستتحدث مع شخص واحد فحسب؟».

تمهلت وفكرت مرة أخرى. «لا، أعتقد أنني لو أردت أن أعرف حقًّا كيفية صنع سيارات رياضية، فسأزور عدة أماكن مختلفة، وأتحدث مع الكثير من الأشخاص المتنوعين. بتلك الطريقة سأحظى بمنظور أوسع».

نظرت إليها وهززت كتفَيَّ: «أظن أنه ربما ليس عسيرًا كما شعرت منذ لحظة. ربما يكون التعرف على ما يمكن أن يحقق غايتي من الوجود أمرًا بسيطًا، مثل: استكشاف أشخاص مختلفين، والتعرف عليهم والأشياء المتعلقة به».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «بالضبط. نحن جميعًا مقيدون بتجاربنا ومعرفتنا الراهنة. الكلمة المهمة هنا الراهنة. أصبح بإمكاننا، أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، الوصول إلى: المعلومات، والأشخاص، والثقافات، والخبرات من جميع أنحاء العالم. وبينما نحاول العثور على ما يحقق غايتنا من الوجود، قيودنا اليوم لا تتعلق حقًّا بإمكانية الوصول، بل تتعلق بالقيود التي نفرضها على أنفسنا».

أومأت برأسي: «أنتِ محقة. أنتِ محقة كليًّا. ومع ذلك، يبدو أنني لا أستفيد من إمكانية الوصول هذه كثيرًا.

عندما أفكر في الطريقة التي أقضي بها وقتي، أجد أنني أفعل الشيء نفسه تقريبًا كل يوم».

سألت كيسي: «لماذا هذا؟»

نظرت إلى القائمة.

لماذا أنت هنا؟

قلت: «أظن أن السبب أنني لا أعرف الإجابة على ذلك»، ثم أشرت إلى السؤال الأول. «دون أن أعرف بالضبط لماذا أنا هنا، وما أريد أن أفعله، لا أفعل سوى ما يفعله معظم الناس».

لم ترد كيسي على ذلك فورًا. ثم نظرت إليَّ: «من خلال تجربتك، هل ساعدك «فعل ما يفعله معظم الناس» في تحقيق غايتك من الوجود؟»

12

على إثر سؤال كيسي، راحت أفكاري تتسارع. هل ساعدني فعل ما يفعله معظم الناس في تحقيق غايتي من الوجود؟ قبل أن أستطيع الإجابة، تحدثت كيسي مجددًا.

«هل رأيت من قبل سلحفاة بحرية خضراء يا جون؟»

«سلحفاة بحرية؟»

«أجل. بالتحديد سلحفاة بحرية خضراء ضخمة، تنتشر البقع على زعانفها ورأسها».

أجبتها: «رأيت صورًا لها. لماذا؟»

بدأت كيسي الحديث: «مع أن الأمر قد يبدو غريبًا، إلا أنني تعلمت أحد أهم دروس الحياة عن اختيار الأشياء التي أفعلها كل يوم، من سلحفاة بحرية خضراء ضخمة».

سألت وقد فشلت فشلًا ذريعًا في قمع ابتسامتي: «ماذا أخبرتك السلحفاة؟»

أجابت وهي تبادلني الابتسامة: «المضحك أنها لم

تخبرني بأي شيء تحديدًا، مع ذلك علمتني الكثير».

بدأت قائلة: «كنت أمارس رياضة الغطس قُبالة سواحل هاواي. كان اليوم بديعًا بالفعل، حيث رأيت ثعبان بحر مرقطًا أرجوانيًّا وأخطبوطًا، كلاهما كنت أراه لأول مرة. كان هناك أيضًا الآلاف والآلاف من الأسماك التي تمثل كل الألوان التي يمكنك تخيلها. من النيون الأزرق الأكثر لفتًا للانتباه إلى الدرجات العميقة المذهلة للأحمر...

«كنت على بعد حوالي مائة قدم من الشاطئ، وكنت أغوص بين بعض الهياكل الصخرية الضخمة. عندما التفت إلى يميني، لمحت سلحفاة بحرية خضراء كبيرة تسبح بجانبي. كانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها واحدة في البريَّة، لذلك كنت مُنتشية. صعدت إلى السطح، ونظفت أنبوب التنفس، وطفوت فوق الماء حتى أتمكن من مشاهدتها».

«كانت أسفلي مباشرة، وتبتعد عن الشاطئ. قررت أن أبقى على السطح، وأسبح معها مدة. لدهشتي، ومع أنها تراءت لي تتحرك ببطء شديد، أحيانًا تجدف بزعانفها، وأحيانًا أخرى تطفو فحسب، لم أستطع مجاراتها».

«كنت أرتدي زعانف، أعطتني قوة دفع عبر الماء، ولم أكن أرتدي سترة طفو أو أي شيء من شأنه أن يبطئني. ومع

ذلك، استمرت السلحفاة في التحرك بعيدًا عني، مع أنني كنت أحاول اللحاق بها».

بعد حوالي عشر دقائق، اختفت عن أنظاري. كنت متعبة وخائبة الأمل ومحرجة بعض الشيء؛ لأنني لم أتمكن من مواكبة السلحفاة، فعدت إلى الوراء، وغطست حتى الشاطئ.

في اليوم التالي عدت إلى المكان نفسه، على أمل رؤية المزيد من السلاحف، وبالفعل بعد حوالي ثلاثين دقيقة من دخول الماء، التفتُّ لأرى سربًا من الأسماك الصغيرة السوداء والصفراء، وكانت هناك سلحفاة بحرية خضراء أخرى. شاهدتها مدة وهي تجدف حول شعاب المرجان.

ثم حاولت أن أتبعها وهي تسبح مُبتعدة عن الشاطئ. ومرة أخرى، تفاجأت عندما وجدت أنني لا أستطيع مجاراتها. عندما أدركت أنها كانت تسبقني، توقفت عن التجديف، وطفوت فحسب، ورحت أشاهدها. في تلك اللحظة علمتني السلحفاة درسًا مهمًّا في الحياة».

توقفت كيسي عن الكلام ونظرت إليّ.

قلت بانزعاج زائف: «كيسي، لا يمكنك إنهاء القصة عند هذا الحد. ماذا علَّمتك؟»

ابتسمت: «اعتقدت أنك غير مؤمن بقدرة السلاحف البحرية الخضراء على إخبارك بشيء؟»

ابتسمت مرة أخرى: «ما زلت متشككًا في الجزء المتعلق بالإخبار، ولكن من الطريقة التي تسير بها القصة، بدأت أصبح مؤمنًا بإمكانيات التعليم. ماذا حدث بعد ذلك؟»

أومأت برأسها قائلة: «حسنًا، بينما كنت أطفو على السطح، أدركت شيئًا ما. عندما كانت السلحفاة تسبح، كانت تربط حركاتها بحركات الماء. عندما تقترب منها موجة، كانت تطفو وتجذف بما يكفي لتبقى في مكانها. وعندما كانت قوة دفع الموجة قادمة من خلفها، كانت تجذف بسرعة أكبر، بحيث كانت تستخدم حركة الماء لصالحها».

السلحفاة لم تقاوم الأمواج قط. بدلًا من ذلك، استخدمتها. السبب وراء عدم قدرتي على اللحاق بها أنني كنت أجدف طوال الوقت، بصرف النظر عن الاتجاه الذي تتدفق فيه المياه. في البداية كان كل شيء يسير جيدًا، وتمكنت من مسايرة السلحفاة. حتى أنني اضطررت إلى إبطاء التجديف في بعض الأحيان.

لكن كلما كافحت ضد الأمواج القادمة، أصبحت أكثر إرهاقًا. وهذا يعني أنه عندما انحسرت الموجة، لم يكن لديَّ ما يكفي من الطاقة للاستفادة من ذلك.

مع قدوم وانحسار موجة تلو الأخرى، أصبحت مرهقة أكثر فأكثر، وغدوت أقل فعالية. لكن السلحفاة كانت على النقيض. استمرت في تحسين تحركاتها مع حركات الماء. ولهذا السبب كانت قادرة على السباحة أسرع مني».

تحدثت: «كيسي، أعتقد أنني أقدر قصة جيدة عن سلحفاة بحرية خضراء مثل أي شخص... وربما في الواقع أكثر من أي شخص؛ لأنني أحب المحيط». سكت هنيهة. «لكن لست متأكدًا من أنني أفهم كيف تتعلق هذه القصة بالطريقة التي يختار بها الناس الأشياء التي ستملأ أيامهم».

هزت كيسي رأسها ببطء. قالت: «وأنا التي كنت أضع آمالًا عظيمة عليك»، وابتسمت مجددًا.

أدرت عينيَّ منزعجًا من تهكمها. رددت: «حسنًا.. حسنًا، أمهليني دقيقة».

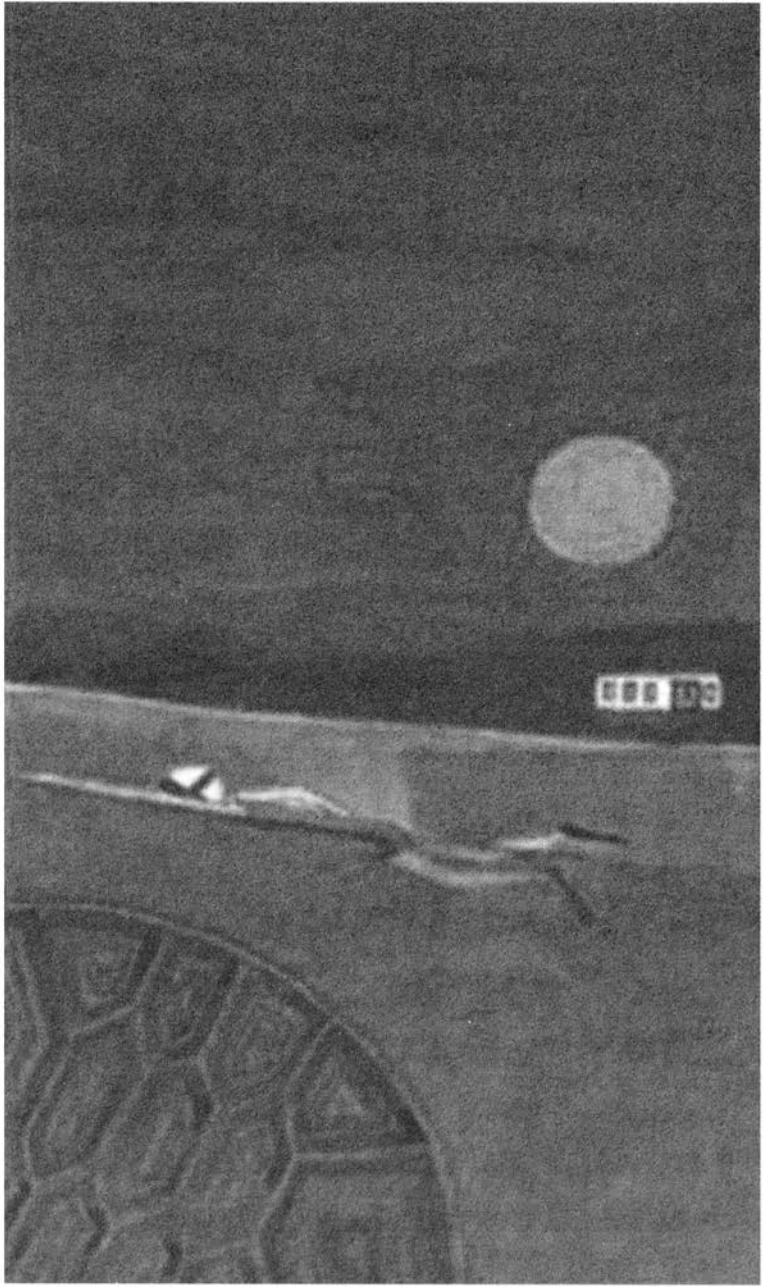

13

فكرت فيما كنا نتحدث عنه قبل قصة السلحفاة البحرية الخضراء.

بدأت أتحدث: «كنتِ تقولين أنه بمجرد أن يعرف المرء لماذا هو هنا . بمجرد أن يعرف غاية وجوده، فيمكنه قضاء وقته في الأشياء التي تحقق له تلك الغاية. وقلتِ أيضًا: إن الأشخاص الذين لا يعرفون الغاية من وجودهم يقضون وقتهم أيضًا في الكثير من الأشياء. عندئذٍ استنتجتُ أن ما يقضون وقتهم فيه لا يساعدهم في تحقيق الغاية من وجودهم».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «تفكيرك جيد حتى الآن، وأعتقد أنني أستشعر وصولك لإدراك عظيم قريبًا».

رددت مبتسمًا على سخريتها المُسلِّية: «أجل، تستشعرين ذلك. أعتقد أن السلحفاة . السلحفاة البحرية الخضراء- علَّمتكِ أنه لو لم تكوني في انسجام مع ما تريدين فعله، يمكنك أن تهدري طاقتك في الكثير من الأشياء الأخرى. ثم عندما تأتي الفرص أخيرًا في طريقكِ من أجل فعل ما

تريدينه، ربما لا يكون لديك الوقت أو القوة لاستثمارها في فعل ما تريدينه».

أومأت برأسها: «جميل جدًّا. وأنا أقدر استدراكك بأنها «سلحفاة بحرية خضراء» وليست مجرد 'سلحفاة'». سكتت للحظة وأصبحت أكثر جدية. «كانت لحظة كبيرة حقًّا بالنسبة لي. بالتأكيد إحدى لحظات الفهم في حياتي.

في كل يوم، هناك الكثير من الأشخاص الذين يحاولون إقناعك باستثمار وقتك وطاقتك فيهم. فكر في رسائلكَ، وبريدك الإلكتروني فحسب. إن كنت ستشارك في كل نشاط وبيع وعرض خدمة يُرسِل لك تنويه به، فلن يكون لديك وقت فراغ. وهذا مجرد الرسائل والبريد الإلكتروني. أضف إلى ذلك كل الأشخاص الذين يرغبون في جذب انتباهك من أجل: متابعة التلفاز، والأنشطة عبر الإنترنت، وأماكن تناول الطعام، ووجهات السفر...».

توقفت مؤقتًا: «يمكنك أن تجد نفسك سريعًا تعيش حياة هي مجرد تجميع لما يفعله الآخرون، أو ما يريد الناس منك أن تفعله».

«عندما عدت إلى الشاطئ بعد مشاهدة السلحفاة في اليوم الثاني، كنت أعجُّ بكل هذه الأفكار. جلست فوق منشفتي وكتبتها في يومياتي، وأدركت أن الموجات الواردة

في حياتي تتكون من جميع: الأشخاص، والأنشطة، والأشياء التي تحاول جذب: انتباهي، وطاقتي، ووقتي، ولكنها غير مرتبطة بالغاية من وجودي.

والموجات الصادرة هي: الأشخاص، والأنشطة، والأشياء التي يمكن أن تساعدني في تحقيق الغاية من وجودي. لذا، كلما أهدرت المزيد من الوقت والطاقة على الموجات الواردة، قلَّ ما أخصصه للموجات الصادرة».

«حالما تشكَّلت تلك الصورة في ذهني، وضعت الأمور حقًّا في منظور مختلف. أصبحت أكثر انتقائية بشأن مقدار «التجديف» الذي قمت به، ولأي أسباب».

أومأت برأسي ببطء، وأنا أفكر في قصتها، وأفكر في الطريقة التي أقضي بها معظم وقتي كل يوم. قلت: «مثير للاهتمام. أفهم الآن ما قصدتيه بتعلم شيء من السلحفاة البحرية الخضراء».

ابتسمت كيسي ونهضت من الطاولة: «اعتقدت أنك ربما ستفهم». أشارت نحو أطباق طعامي: «لكن أعتقد أنني أمنعك من تناول وجبة إفطارك. لماذا لا أسمح لك بالأكل مدة؟ سأعود بعد قليل، وأرى كيف حالك».

ومضت فكرة فجأة في ذهني. «كيسي، هل يمكنني

استعارة قطعة من الورق وقلمك قبل أن تذهبي؟»

«بالتأكيد». أخرجت القلم من مئزرها، ومزقت قطعة ورق من دفتر الطلبات، ووضعتهما فوق الطاولة.

غمزت لي قائلة: «الإجابة ستفاجئك».

بدأت بالسؤال: «كيف عرفت ذلك؟» لكنها كانت بالفعل في طريقها إلى المطبخ.

التقطت القلم وبدأت بكتابة أرقام على الورق. متوسط العمر المتوقع ثمانية وسبعون عامًا... عمري عندما تخرجت في الكلية كان اثنين وعشرين عامًا...استيقظ ست عشرة ساعة يوميًّا...عشرون دقيقة كل يوم أقضيها في تصفح الرسائل والبريد الإلكتروني....

عندما انتهيت من حساباتي كلها، لم استطع أن أصدق الإجابة. أعدت الحساب مجددًا. الإجابة ذاتها.

أدركت أن كيسي لم تكن تمزح بشأن تأثير الموجات الواردة. لو قضيت، منذ تخرجي من الكلية وحتى بلوغي الثامنة والسبعين من عمري، عشرين دقيقة فقط يوميًّا في فتح وتصفح الرسائل، والبريد الإلكتروني الذي لم أهتم به حقًّا، فسيستنفد ذلك أكثر من عام من حياتي.

أعدت التأكد من الحساب للمرة الثالثة. كان صحيحًا.

«حسنًا؟» كانت كيسي. كانت تسير من المطبخ إلى الطرف الآخر من المقهى، لكنها توقفت عندما رأتني أنظر إلى الورقة.

أجبتها: «أنتِ على حق. أنا مندهش. في الواقع، أعتقد أنني تجاوزت الدهشة وأتجه بسرعة إلى الصدمة. هل تدركين أن البريد غير المهم وحده يمكن أن يلتهم عامًا كاملًا من حياتك؟»

ابتسمت «ليس كل الرسائل والبريد الإلكتروني غير مهم يا جون».

«لا، أنا أفهم ذلك، ولكن الكثير منه. علاوة على ذلك، فالأمر لا يقتصر على تلك الأشياء. كنت جالسًا هنا وأتساءل عن عناصر الموجة الواردة الأخرى التي تشغل وقتي وطاقتي كل يوم. كم دقيقة أقضيها فيها».

قالت: «يمكن أن يجعلك تفكر. لهذا السبب كان للوقت الذي قضيته مع السلحفاة البحرية الخضراء تأثير كبير فيَّ».

14

واصلت كيسي طريقها إلى الطرف الآخر من المقهى، وبدأتُ التهم البان كيك. كانت لذيذة مثل الأطباق الأخرى. بينما تناولت الطعام، فكرت في محادثاتي معها ومع مايك. لم تشبه محادثاتك التقليدية في مقهى. لماذا أنت هنا؟ ماذا تفعل عندما تعرف لماذا أنت هنا؟ ماذا يمكنك أن تتعلم من سلحفاة بحرية خضراء؟

وبعد بضع دقائق، بينما كنت أحرز تقدمًا في تناول بقية الفاكهة، جاء مايك.

«ما رأيك في الطعام يا جون؟»

«رائع. هذا مكان مميز. تعلم، يجب أن تفكر حقًّا في افتتاح فروع أخرى. يمكنك أن تصنع ثروة».

ابتسم مايك قائلًا: «ربما لديَّ ثروة بالفعل».

«إذًا لماذا تعمل هنا...؟» حاولت إيقاف نفسي، لكن الأوان كان قد فات بالفعل. نظرت إليه باعتذار. «أنا آسف يا مايك. لم أقصد أن هذا ليس مكانًا رائعًا. قصدت فقط...لست متأكدًا مما كنت أقصده، في الواقع».

قال مايك: «لا بأس. تلقيت هذا السؤال أكثر من مرة». نظر إليَّ للحظة، وقال: «هل سمعت يومًا قصة رجل الأعمال الذي ذهب في عطلة والتقى بصياد سمك؟»

هززت رأسي: «لا أعتقد ذلك».

«مهتم بسماعها؟ لها علاقة بتعليقك عن افتتاح فروع أخرى».

«بالتأكيد». أجبت وأومأت إلى المقصورة المقابلة لي. «من فضلك أجلس».

أومأ مايك برأسه وجلس. «حسنًا، تحكي القصة عن ذهاب رجل أعمال في عطلة للابتعاد بنفسه عن كل شيء. «لإعادة شحن بطارياته» إن جاز التعبير. طار إلى هذا الموقع البعيد، وتجول في قرية صغيرة. وعلى مدار بضعة أيام، شاهد الناس في مجتمع القرية، ولاحظ أن هناك صيادًا واحدًا على وجه الخصوص بدا الأسعد والأكثر رضا من بين الجميع. أثار فضول رجل الأعمال لذا في أحد الأيام، اقترب من الصياد وسأله عما يفعله كل يوم.

«أجاب الرجل أنه يستيقظ كل صباح ويتناول الإفطار مع زوجته وأولاده، ثم يذهب أطفاله إلى المدرسة، ويذهب هو لصيد الأسماك، أما زوجته، فتنشغل بالرسم. كان يصطاد

السمك لبضع ساعات، ثم يرجع ومعه ما يكفي من الأسماك لوجبات الأسرة، ثم يأخذ قيلولة. بعد العشاء، كان هو وزوجته يتنزهان على طول الشاطئ ويشاهدان غروب الشمس بينما يسبح الأطفال في المحيط.

تفاجأ رجل الأعمال. سأله: (هل تفعل هذا كل يوم؟)

رد الصياد: (معظم الأيام. أحيانًا نفعل أشياء أخرى، لكن أغلب الأوقات، أجل، هذه حياتي).

سأل رجل الأعمال: (وكل يوم تستطيع صيد السمك؟)

أجاب الصياد: (أجل، يوجد الكثير من الأسماك).

سأل رجل الأعمال: (هل يمكنك اصطياد كمية من السمك أكبر مما تحتاج إلى إحضارها إلى البيت من أجل عائلتك؟)

نظر الصياد إليه، وابتسم، ورد: (أوه!! نعم، غالبًا ما أصطاد أكثر بكثير، وأطلق سراحها. كما ترى، أحب صيد السمك).

سأل رجل الأعمال: (حسنًا، لماذا لا تصطاد السمك طوال اليوم وتصطاد أكبر عددٍ ممكن منه؟ ثم يمكنك أن تبيع السمك وتجني الكثير من المال. وسرعان ما سيمكنك شراء قارب ثانٍ، ثم قارب ثالث. ويمكن للصيادين الذين

ستستأجرهم لصالحك صيد الكثير من الأسماك أيضًا. وفي حوالي سنوات قليلة، يمكن أن يكون لديك مكتب في إحدى المدن الكبرى. في واقع الأمر، أراهن أنه في حوالي عشر سنوات، ستكون لديك تجارة توزيع سمك دولية).

ابتسم الصياد مرة أخرى لرجل الأعمال: (لماذا أفعل كل ذلك؟)

أجاب رجل الأعمال: (حسنًا، من أجل المال. ستفعل ذلك حتى تتمكن من الحصول على الكثير من المال، ومن ثم تتقاعد).

سأل الصياد وهو لا يزال يبتسم: (وماذا سأفعل عندما أتقاعد؟)

أجاب رجل الأعمال: (حسنًا، أي شيء تريده على ما أعتقد).

(على سبيل المثال: ربما أستطيع تناول وجبة الإفطار مع عائلتي؟)

قال رجل الأعمال وهو منزعج قليلًا من أن الصياد لم يكن متحمسًا أكثر من فكرته: (نعم، أعتقد ذلك).

استطرد الصياد: (وإن أردت ذلك؛ لأنني أحب الصيد كثيرًا، فيمكنني صيد السمك لبعض الوقت كل يوم؟)

قال رجل الأعمال: «لا أفهم لماذا لا. ربما لن يكون هناك الكثير من الأسماك بحلول ذلك الوقت، ولكن يجب أن يكون هناك بعض منها».

تساءل الصياد: (إذن ربما أستطيع قضاء الأمسيات مع زوجتي، والمشي على طول الشاطئ، ومشاهدة غروب الشمس، بينما يسبح أطفالنا في المحيط؟)

قال رجل الأعمال: (بالتأكيد، أي شيء تريده، مع أنه بحلول ذلك الوقت سيكون أطفالك قد كبروا على الأرجح).

ابتسم الصياد للرجل الآخر وصافحه وتمنى له التوفيق في جهوده لإعادة شحن طاقته».

أنهى مايك القصة ونظر إلي: «ما رأيك يا جون؟»

سكت للحظة، «أعتقد أنني أشبه رجل الأعمال إلى حدٍّ ما. أقضي معظم وقتي في العمل؛ حتى يكون لدي ما يكفي من المال للتقاعد».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «كنت أفعل ذلك أيضًا سابقًا، ثم في أحد الأيام توصلت إلى إدراك شخصي مهم للغاية. في رأيي، كان التقاعد هذه المرحلة في المستقبل عندما يكون لدي ما يكفي من المال للقيام بما أريد. النقطة التي عندها سأكون حرًّا في المشاركة في الأنشطة التي أحبها،

ويمكنني قضاء كل يوم بطريقة تُرضيني.

«ثم في إحدى الأمسيات، بعد يوم عمل غير مُرْضٍ، توصلت إلى استنتاج مفاده: إنه لا بد من وجود طريقة أفضل. مع مرور الوقت، عرفت أنني أحتار بطريقةٍ ما بشأن كيفية عمل الأشياء في حياتي. كان الأمر بسيطًا جدًّا إلى درجة أنه تراءت حيرتي ضربًا من الجنون، ومع ذلك أصابتني الحيرة».

نظرت إلى مايك: «ماذا اكتشفت؟»

«حسنًا، أدركت أنه بالنسبة لي، كل يوم فرصة للوفاء بالإجابة على السؤال الذي لمحته في الجزء الخلفي من القائمة. كل يوم فرصة لفعل الأشياء التي أريدها. لست بحاجة إلى الانتظار حتى ''التقاعد''».

وضعت شوكتي جانبًا وجلست. فوجئت قليلًا بمدى بساطة ذلك. قلت: «لكن هذا سهل للغاية. إذا كان الأمر بهذه السهولة، فلماذا لا يقضي الجميع المزيد من الوقت في فعل ما يريدون؟».

ابتسم مايك، «حسنًا، أخشى أنني لا أستطيع التحدث نيابةً عن الجميع». نظر إليَّ قائلًا: «هل تقضي الكثير من الوقت في فعل ما تريد؟»

لم يكن هذا هو الاتجاه الذي توقعت أن تسير فيه المحادثة. كنت أتمنى أن يستمر مايك في الحديث، ويمكنني الاكتفاء بالاستماع. فكرت في سؤاله للحظة.

أجبته: «لا، ليس حقًّا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«ولِمَ لا؟»

كان هذا تقدمًا أبعد في مسارٍ لم أتوقعه. هززت كتفي: «لأكن صادقًا، لست متأكدًا. لم أكن أعرف حقًّا ما الذي أردت أن أدرسه عندما ذهبت إلى الكلية. وفي نهاية المطاف، اتخذت قرارًا بالالتحاق ببرنامج أكاديمي أعجبني نوعًا ما، وقال الكثير من الناس: إنه جيد للحصول على وظيفة بعد التخرُّج. وعندما انتهت الدراسة، بدأت العمل. ثم تحول تركيزي أكثر فأكثر نحو كسب المال. وفي نهاية المطاف كنت أحصل على راتب جيد جدًّا، واستقريت نوعًا ما على نمط محدد.

سكت للحظة وقلت: «لست متأكدًا أيضًا من أنني فكرت في هذا السؤال من قبل»، وأشرت إلى القائمة. «ليس حتى الليلة».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «كما ذكرت سابقًا، من المضحك كيف ومتى يداهم أشخاصًا مختلفين».

هززت رأسي قليلًا: «هذا يبدو جنونيًّا حقًّا».

«ماذا تقصد؟»

«ما كنا نتحدث عنه للتو. لماذا نقضي الكثير من وقتنا في التحضير للوقت الذي يمكننا فيه فعل ما نريد، بدلًا من القيام بهذه الأشياء الآن فحسب؟»

أومأ مايك برأسه ببطء قائلًا: «يوجد شخص هنا الليلة قد يكون قادرًا على تزويدك ببعض المعلومات حول هذا الموضوع».

سألت: «من؟»

أجاب مايك: «انتظر لحظة». نهض من الطاولة، وذهب إلى حيث كانت كيسي تتحدث مع الزبائن الآخرين. لم أتمكن من سماع ما كانوا يناقشونه، ولكن بعد لحظات قليلة نهضت إحداهن، وبدأت هي ومايك في السير نحوي.

15

عندما وصلا إلى طاولتي، قدمني مايك إلى المرأة التي أحضرها معه: «جون، أودُّ منك أن تقابل صديقتي. هذه آن». نظر إلى آن، «وهذا هو جون. الليلة المرة الأولى له في المقهى».

وقفت وتصافحت أنا وآن.

قلت: «تشرفت بلقائك. أفهم من مقدمة مايك أنكِ تتناولين الطعام هنا كثيرًا؟»

ابتسمت: «من حينٍ لآخر. إنه أحد تلك الأماكن التي تجد نفسك فيه عندما تكون في أمس الحاجة إلى ذلك».

أومأت برأسي: «بدأت أشعر بذلك».

«كنت أنا وجون نناقش للتو أحد موضوعاتك المفضلة، يا آن. اعتقدت أنه ربما يمكننا إحضارك للنقاش للحصول على رأي خبير».

ضحكت، «حسنًا، لست متأكدة من الجزء المتعلق بالخبير، ولكن نادرًا ما لا يكون لدي رأي في موضوع محدد. عن ماذا كنتما تتحدثان؟»

«كان جون يتساءل لماذا نقضي الكثير من حياتنا في الاستعداد للوقت الذي سنستطيع فيه فعل ما نريد. بدلًا من مجرد عيش تلك الحياة الآن».

قالت: «أهه، هذا أحد موضوعاتي المفضلة». ثم ضحكت.

كانت ضحكة آن معدية، وقد راقتني على الفور: «من فضلك اجلسي يا آن. سيكون من الرائع أن نسمع وجهة نظرك. وأنت أيضًا يا مايك، إن كان لديك فسحة من الوقت».

وبينما جلسنا جميعًا، علق مايك قائلًا: «قبل أن تبدأ آن، يجب أن تعرف القليل عنها. حازت آن درجة علمية متقدمة من أفضل كليات التسويق في العالم، وكانت مديرة تنفيذية تحظى بتقدير كبير في عالم الإعلانات لسنوات عديدة».

أجبته: «رائع. هذا يبدو باهرًا جدًّا».

قالت آن وابتسمت: «ليس بالضرورة، ولكن من المحتمل أن يكون ذلك مهمًّا للسياق». توقفت للحظة وهي تنظر إليَّ: «جون، هل سبق لك أن شاهدت التلفاز، أو قرأت المجلات، أو تصفحت الإنترنت، أو استمعت إلى الراديو... هذه الأنواع من الأشياء؟»

أجبت: «بالتأكيد. لماذا؟»

قالت: «جزء من الإجابة على سؤالك حول سبب قضاء الكثير من الوقت في الاستعداد لفعل ما نريد، بدلًا من القيام به فحسب، يكمن في الرسائل التي تُوضع أمامنا كل يوم. كما ترى، عرف المُعلنِون منذ مدة طويلة أنه إذا استهدفت بشكلٍ فعَّال مخاوف الناس، ورغبتهم في التحقُّق، يمكنك تحفيزهم على القيام بأشياء محددة. إذا تمكنت من اللعب على أوتار الخوف الصحيح، أو الرغبة الصحيحة، فيمكنك حملهم على شراء سلع محددة واستخدام خدمات محددة».

نظرت إليها حائرًا قليلًا: «هل يمكنك أن تعطيني مثالًا؟»

أومأت برأسها قائلة: «هل سبق لك أن رأيت أو سمعت إعلانًا يركز محتواه على تمكينك من أن تصبح سعيدًا أو آمنًا؟ كانت الرسالة كالتالي: «إذا كان لديك هذا المنتج، فستكون حياتك أفضل؟»».

أجبتها: «أعتقد ذلك».

علقت قائلة: «عادة ما تكون تلك الرسائل ضمنية. في معظم الأحيان، لا تأتي الشركات مباشرة وتقول ذلك. ولكن

عندما تعرف ما الذي تبحث عنه، أو عندما تكون منخرطًا في ابتكار الكثير من الإعلانات، فإنك تراه. الغرض من هذه الرسائل هو جعلك تعتقد أنه يمكنك تحقيق الرضا من خلال منتج أو خدمة محددة.

على سبيل المثال: قيادة هذا النوع من السيارات ستجلب معنى لحياتك. تناول هذه الماركة من الآيس كريم سوف يُترجم إلى السعادة. امتلاك هذا النوع من الماس سيجلب لك الرضا.

تابعت: «واسمح لي أن أخبرك بشيء مهم للغاية. عادة ما تُنقل رسالة أكثر ضمنية، ولكنها أقوى. لن تمكّنك هذه المنتجات من تحقيق الرضا إذا حصلت عليها فحسب، بل إن عدم امتلاكها يمكن أن يمنعك من تحقيق الرضا».

نظرتُ إلى آن بتساؤل. «هل تلمحين إذن أنه على الناس ألا يشتروا الأشياء؟ يبدو ذلك غير واقعي إلى حدٍّ ما».

هزت رأسها بلطف قائلة: «لا، لا تفهميني خطأً. أنا لا أقول أن لا تشتري سيارة أو تتناول الآيس كريم، أو تذهب إلى المركز التجاري. على العكس من ذلك، أعتقد اعتقادًا راسخًا أن كل شخص يجب أن يفعل ما يريد في الحياة.

لقد سألت لماذا نقضي الكثير من الوقت في التحضير للحياة التي نريد أن نعيشها بدلًا من أن نعيشها فحسب. جزء من الإجابة أننا إذا لم نكن حذرين، فإننا نشتري عددًا كبيرًا من الرسائل التسويقية التي نتعرض لها كل يوم. وينتهي بنا الأمر إلى الاعتقاد بأن الإجابة على السعادة والوفاء تكمن في المنتج أو الخدمة».

هزت كتفيها وأردفت: «في نهاية المطاف، يمكن أن يؤدي ذلك إلى حصر أنفسنا في وضع مالي حيث نشعر فيه أنه يجب علينا الاستمرار في القيام بأشياء ليست ما نريده».

نظرت إليها بتساؤل مرة أخرى: «لست متأكدًا من أنني أستوعب ذلك».

أجابت آن: «دعني أعطك مثالًا عامًّا جدًّا. ضع في حسبانك أن هذا لا ينطبق على كل شخص. لكن من المفترض أن يساعد في توضيح ما كنا نتحدث عنه».

16

بدأت آن قائلة: «منذ سن مبكرة، نتعرض للإعلانات التي تنقل رسالة مفادها: إن التحقُّق يأتي من الأشياء. إذن ماذا نفعل؟»

هززت كتفي، «أعتقد أن علينا شراء بعض العناصر لنختبر مصداقية الإعلانات».

أومأت برأسها: «بالضبط. لكن التحدي يكمن في أننا من أجل شراء هذه الأشياء، نحتاج إلى ماذا؟»

هززت كتفي مرة أخرى: «المال؟»

قالت: «صحيح مرة أخرى. ولذلك لحل هذه المشكلة، حصلنا على وظيفة. قد لا تكون هذه وظيفتنا المثالية، وقد لا يكون وقتنا في العمل بالضبط كيف نريد قضاء ساعات حياتنا. ومع ذلك، فإننا نقبل الوظيفة حتى نتمكن من دفع ثمن ما نريد شراءه. نقول لأنفسنا: إنه مؤقت. قريبًا، سنفعل شيئًا آخر، شيئًا أكثر انسجامًا مع ما نريد فعله حقًّا.

المشكلة هي لأن الوظيفة ليست مُرضية، ولأننا نقضي الكثير من الوقت فيها، نشعر بعدم الرضا أكثر فأكثر. وفي

الوقت نفسه، من حولنا يتحدث الناس عن عدم قدرتهم على الانتظار لذلك اليوم في المستقبل عندما يتقاعدون ويفعلون الأشياء التي يريدونها.

وهكذا سرعان ما نبدأ بدورنا في تصور هذه النقطة المستقبلية الغامضة تقريبًا. الوقت الذي لن نضطر فيه أيضًا إلى القيام بعملنا، ويمكننا بدلًا من ذلك أن نعيش الحياة التي نريدها.

في هذه الأثناء، لتعويض حقيقة أننا لا نقضي كل يوم في فعل ما نريد، نشتري المزيد من الأشياء. نأمل أن تكون الرسائل الإعلانية صحيحة إلى حدٍّ ما. أن هذه العناصر ستجلب الرضا لحياتنا اليومية.

لسوء الحظ، كلما اشترينا أكثر، زادت الفواتير على عاتقنا. لذلك، نحن بحاجة إلى قضاء المزيد من الوقت في العمل لدفع ثمن كل شيء؛ نظرًا لأن الوقت الذي نقضيه في عملنا ليس الطريقة التي نريد أن نقضي بها حياتنا حقًّا، فإن هذا يؤدي إلى المزيد من مشاعر عدم التحقُّق. إذ الآن بات لدينا وقت أقل حتى لفعل ما نريد».

قلت: «وهكذا نشتري المزيد من الأشياء. أعتقد أنني أرى إلى أين يتجه هذا. لا تبدو هذه دورة إيجابية للغاية».

أجابت آن: «سواء أكان الأمر إيجابيًّا أم لا، فإن النتيجة النهائية أن الأشخاص يستمرون في العمل مدة طويلة في

أنشطة لا تلبي بالضرورة غايتهم في الوجود. وفي الوقت نفسه، يواصلون التطلع إلى المستقبل. ذلك الوقت الذي لا يضطرون فيه إلى العمل بعد الآن، ويمكنهم أخيرًا فعل ما يريدون حقًّا».

انتهت آن، وجلسنا جميعًا في صمت للحظة. قلت في النهاية. «واو، لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة من قبل». نظرت من آن إلى مايك، ثم عدت إلى آن مرة أخرى. «هل أنت متأكدة من كل هذا؟»

ضحك كلاهما وأجابت آن: «جون، تمامًا كما لا أوصي بأخذ الرسائل الإعلانية على ظاهرها، ولكن بأن تراها على حقيقتها، لا أريدك أن تقبل ببساطة أي شيء أقوله. ذكرت كيسي أنكما كنتما تتحدثان عن كيف أننا نمتلك الفرصة جميعًا لتوسيع نطاق تعرضنا للأشياء - لمنحنا منظورًا أفضل لكل ما هو موجود».

أومأت بالإيجاب.

«حسنًا، ما شاركته معك هو مجرد رأي شخص واحد. الآن بعد أن سمعت ذلك، يمكنك أن تنظر إلى العالم من حولك وتقرر إن كنت تعتقد أن بعضًا منه، أو كله، أو لا شيء منه صحيح».

17

فكرتُ لبضع لحظات في كل ما قالته آن. ثم نظرت إليها. «هذا المثال الذي قدمته سابقًا. هل مررت بهذه الدورة؟»

أومأت برأسها: «للأسف، نعم فعلت. أستطيع أن أسخر من ذلك الآن. لكن حينذاك لم يكن مضحكًا بالتأكيد. كنت تعيسة حقًّا، وشعرت كأنني فقدت السيطرة على حياتي».

سألت: «بأي طريقة؟»

سكتت هنيهة قبل أن تجيب: «حسنًا، حينذاك كان لديَّ ما بدا كأنه نهج عقلاني للغاية في الحياة. كنت أقول لنفسي: (لقد عملت طوال عطلة نهاية الأسبوع، لذلك فأنا أستحق الحصول على ملابس جديدة، أو أحدث الأجهزة الإلكترونية، أو بعض الأثاث المنزلي الأنيق الجديد)».

نظرت إليَّ قبل أن تستطرد: «المشكلة أنني كنت أعمل دائمًا، وقلما كان لدي الوقت لاستعمال ما اشتريته للترفيه عن نفسي. كان الناس يأتون إلى منزلي ويخبرونني عن مدى حبهم له، لكنني نادرًا ما كنت هناك بما يكفي للاستمتاع به.

في إحدى الليالي، بعد أن راجعت مجموعة كبيرة من الفواتير التي كانت ستستهلك مرة أخرى معظم دخلي الشهري، رجعت إلى سريري وحدقت في السقف. كان كل ما أستطيع فعله هو ألا أبكي. أدركت أن الحياة كانت تعبر أمامي وتنسل من بين أصابعي. كنت أقضيها في وظيفة لم أكن أهتم بها حقًّا، وأحاول تعويض نفسي عن طريق شراء أشياء لم أهتم بها حقًّا.

وما زاد المشكلة تعقيدًا أن خطتي للرجوع إلى ما أردت أن أفعله، تطلبت مني العمل حتى أبلغ الستين من عمري، عندما أتمكن من التقاعد». توقفت ونظرت إليَّ، «كان شعورًا بائسًا».

أجبتها: «تبدو عقلية مختلفة تمامًا عما لديك الآن. ما الذي تغير؟»

أومأت آن برأسها قائلة: «في ذاك المساء، بعد التحديق في السقف ومحاولة معرفة كيف وصلت إلى الوضع الذي كنت فيه، قررت الذهاب في نزهة على الأقدام. عشت في مدينة كبيرة، وكانت الشوارع زاخرة بالناس. ظللت أنظر إلى كل من مررت بهم، متسائلة إن كان أي منهم ينتابه الشعور نفسه الذي ينتابني. هل كانوا سعداء؟ هل كانوا يفعلون ما يريدون؟ هل كانوا يشعرون بالتحقُّق؟ وفي نهاية المطاف، توقفت عند مقهى صغير رأيته مرات عدة، لكن لم أزره قط».

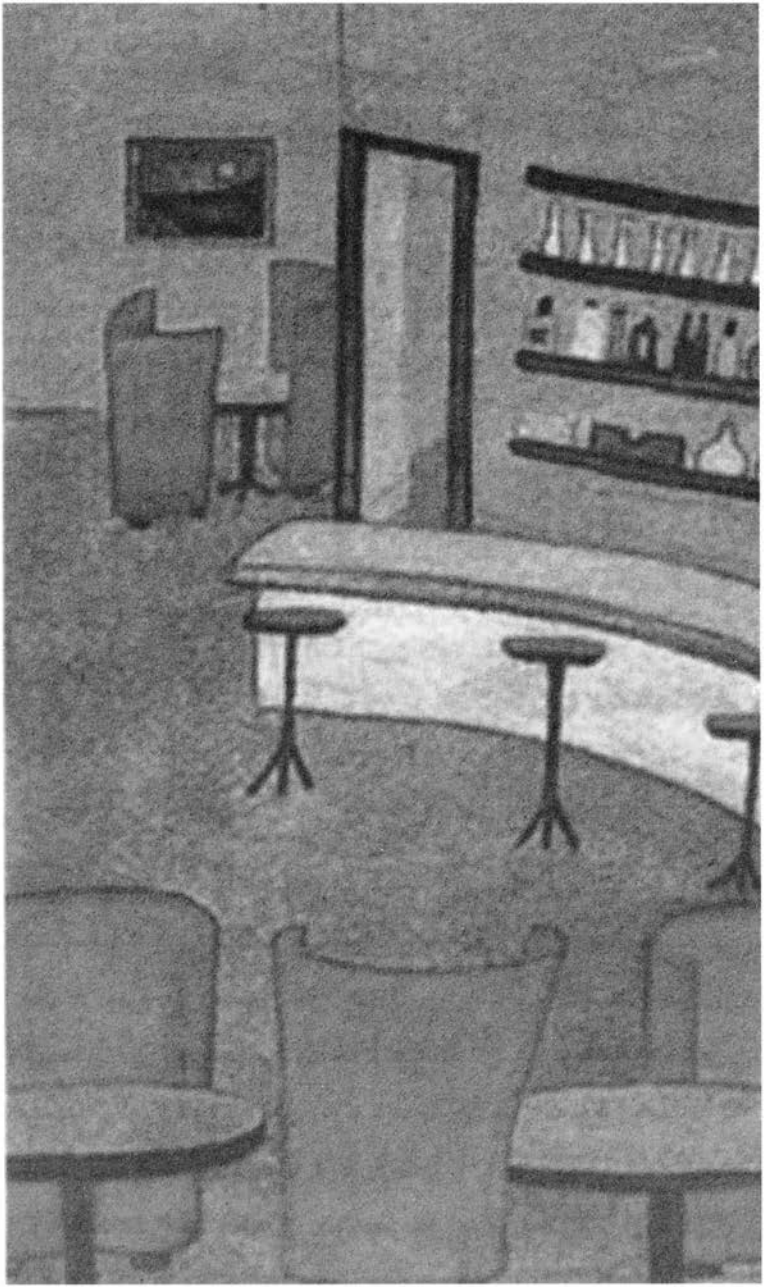

نظرت آن إلى مايك وابتسمت: «لدهشتي، كان أحد معارفي يجلس هناك. التقيت به في مناسبات عدة، وأعجبت بمدى ارتياحه الذي كان يبدو عليه دائمًا.

طلب مني أن أنضم إليه، وعلى مدى ثلاث ساعات والعديد من فناجين القهوة، تبادلنا النظريات حول الحياة. عندما شرحت موقفي، ابتسم وأشار إلى أنني ربما كنت أقرأ الكثير من إعلاناتي. أخبرته أنني لم أكن متأكدة مما كان يقصده، فشرح لي الدورة التي وصفتها لك قبل دقائق قليلة. ومضى ليخبرني بشيءٍ آخر. شيء لم يفارق ذهني منذ ذلك الحين.

أوضح أن التحدي يكمن في إدراك أن شيئًا مُرْضٍ؛ لأننا نقرر أنه مُرْضٍ. ليس لأن شخصًا آخر يخبرنا بذلك».

قلت: «واو».

نظرت آن إلى مايك مرة أخرى وأومأت برأسها، «أهه. لذلك عندما عدت إلى المنزل في تلك الليلة، جلست وفكرت في ما كان يرضيني، ولماذا. تحديت نفسي للتفكير في الطريقة التي أردت أن أقضي بها كل يوم. ثم سرعان ما كنت أسأل نفسي لماذا أرغب في قضاء وقتي بهذه الطرائق. وفي نهاية المطاف، قادني هذا الخط من التفكير إلى هنا».

نظرت إلى أسفل. كانت آن تشير إلى القائمة.

لماذا أنت هنا؟

سألت: «وثم؟».

ضحكت آن، «حسنًا، أعتقد أن كيسي ربما أوضحت لك بالفعل أنه ما إن تسأل نفسك (لماذا أنا هنا؟) تتغير الأمور بالنسبة إليك. أستطيع أن أخبرك أنه منذ تلك الليلة، لم أعد كما كنت».

سألت: «حقًّا؟»

أومأت برأسها قائلة: «بدأ الأمر ببطء، حيث كنت أخصص المزيد من الوقت لنفسي كل أسبوع. توقفت عن مكافأة نفسي بالأشياء كتعويض عن العمل الجاد. وبدلًا من ذلك، أصبحت المكافأة قضاء الوقت في فعل ما أردت. كنت أتأكد كل يوم من قضاء ساعة على الأقل في القيام بشيءٍ أحبه حقًّا. في بعض الأحيان كنت أقرأ رواية كنت متحمسة لها. وفي أيام أخرى، كنت أذهب للمشي لمسافات طويلة أو ممارسة الرياضة.

في نهاية المطاف، أصبحت الساعة الواحدة ساعتين، ونمت حتى صارت ثلاث. وقبل أن أدرك ذلك، كنت أركز بالكامل على القيام بما أردت القيام به. الأشياء التي حققت إجابتي على: «لماذا أنا هنا؟».

18

التفتت آن إلى مايك: «هل دارت بينك وبين جون مناقشة الموت بعد؟»

سألت متفاجئًا: «ماذا؟»

ابتسمت آن وأشارت إلى القائمة: «السؤال الثاني».

خفضت عينَيّ إلى القائمة: «هل تخشى من الموت؟»

نسيت إلى حدٍّ كبير السؤالين الآخرين في القائمة، مع كل ما تعرضت له في السؤال الأول، لم أكن متأكدًا من أنني مستعد للتفكير في الباقي.

وعلق مايك قائلًا: «كل الأسئلة مترابطة ببعضها بعضًا».

ها هو الشيء المتعلق بقراءة العقل مرة أخرى. فقط عندما بدأت أعتقد أن هذا المكان مقهى عادي. في الواقع، أعتقد أنني لم أفكر في ذلك قط.

سألت: «ماذا تقصد بـ: «مترابطة»؟»

سألت آن: «هل تخشى الموت؟ معظم الناس يخشونه.

في الواقع الموت أحد أكثر المخاوف شيوعًا لدى الناس».

هززت كتفي: «لا أعرف. أعني أنني لا أريد أن أموت قبل أن تتاح لي الفرصة لتجربة ما أريده في الحياة. لكن لا يعني ذلك أنني أفكر في الموت يوميًا».

نظرت آن إليَّ: «الأشخاص الذين لم يطرحوا على أنفسهم السؤال الذي رأيته في القائمة، ولم يتخذوا خطوات لتحقيق غايتهم في الوجود..» سكتت هنيهة قبل أن تستطرد: «هؤلاء الناس يخشون الموت».

جاء دوري للسكوت. نظرت إلى آن ثم مايك: «هل تقولين أن معظم الناس يقضون جزءًا من كل يوم في التفكير في الموت؟ لست متأكدًا من أنني أصدق ذلك. أعني أنني بالتأكيد لا أصدقه».

ابتسم مايك وهز رأسه قليلًا: «الأمر ليس كذلك يا جون. ما نتحدث عنه يحدث في المقام الأول على مستوى اللاوعي».

تردد للحظة قبل أن يتابع: «مع مرور كل يوم، يعرف الناس بشكل حدسي أنهم يقتربون يومًا آخر من عدم الحصول على فرصة لفعل ما يريدون في الحياة. ما يخشون

منه هو ذلك اليوم الذي سيأتي في وقتٍ ما في المستقبل، عندما لن تتاح لهم الفرصة. إنهم يخشون من اليوم الذي سيموتون فيه».

فكرت في ذلك للحظة: «لكن يجب ألا يكون الأمر هكذا، أليس كذلك؟ أعني إن سأل أحدهم نفسه عن سبب وجوده هنا، ثم اختار ما يريد القيام به لتحقيق غايته في الوجود، ثم فعل تلك الأشياء بالفعل... لماذا سيخاف من الموت؟ لا يمكنك الخوف من عدم إتاحة الفرصة لك للقيام بشيء إن قمت به بالفعل. أو إن كنت تقوم به كل يوم».

نظرت آن إلى مايك الذي أومأ برأسه قليلًا، ثم عاد للنظر إليّ. ابتسمت آن وقالت بهدوء: «لا، لا يمكنك ذلك». مدت يدها عبر الطاولة ووضعتها على يدي: «كان من دواعي سروري مقابلتك، يا جون. أخشى أنني بحاجة للعودة إلى صديقي، لكنني استمتعت حقًّا بمحادثتنا».

أجبتها: «وأنا كذلك. شكرًا لمشاركة قصتك معي».

وقفنا كلنا، ثم غادرت آن المقصورة، وبدأت في العودة إلى طاولتها. انزلقت مرة أخرى إلى مقعدي. شعرت بالاختلاف بطريقةٍ أو بأخرى. وكأنني تعلمت للتو شيئًا سيكون ذا قيمة كبرى مدة طويلة، نظر مايك إليَّ قائلًا: «هل أنت بخير يا جون؟ تبدو مدهوشًا بعض الشيء».

أومأت برأسي: «أفكر فحسب. ما كنت تشرحه أنت وآن منطقي للغاية. أنا مندهش؛ لأنني لم أسمع ذلك من قبل، أو أفكر فيه بنفسي».

ابتسم قائلًا: «كل شيء في أوانه يا جون. ربما مررت عليه مرور الكرام سابقًا. لكنك لم تكن مستعدًا حينذاك».

مد مايك يده إلى الأسفل وأخذ اثنين من الأطباق الفارغة من فوق الطاولة.

«لماذا لا أزيل بعضًا من هذه الأطباق من أجلك؟». أومأ برأسه نحو الطبق الذي يحتوي قطع الهاش براونز: «هل مازلت ستتناولها؟»

«نعم، على نحو مدهش»، أجبت وأنا أُخرِج نفسي من أفكاري وأعود إلى التركيز في الطعام الذي أمامي: «إنها جيدة جدًّا، بحيث لا يمكن تفويتها، وما زالت لديَّ مساحة صغيرة متبقية في معدتي».

بينما ابتعد مايك عن الطاولة، فكرت في كل ما ناقشناه للتو أنا وهو وآن. كان كثيرًا لاستيعابه. فكرت في قصة آن وتأثير الإعلانات. ما مقدار تعريفي للنجاح والسعادة والتحقُّق الذي حدده أشخاص غيري؟ كان من الصعب معرفة ذلك. قررت أنه من الآن فصاعدًا، سأحاول أن أكون أكثر

وعيًا بالرسائل الكامنة وراء ما يقوله الناس.

كان النقاش عن الموت شيئًا مختلفًا تمامًا. كنت أعلم أنني سأصل إلى مستوى أعمق من الفهم؛ بسبب تلك المحادثة. لم يكن الأمر أنني كنت أعيش في حالة من اليأس العاطفي، لا أفعل أي شيء سوى القلق بشأن الموت. لم يكن حتى شيئًا فكرت فيه كثيرًا. لكن مفهوم عيش حياة تُحقِّق غايتي الخاصة، والتأثير الذي قد يكون له في الطريقة التي أنظر بها إلى كل يوم، كان له مردود جيد جدًّا معي.

قلت لنفسي: «لا يمكنك الخوف من عدم حصولك على الفرصة للقيام بشيءٍ ما، إن كنت قد قمت به بالفعل، أو كنت تقوم به كل يوم».

أتمنى لو أن ذلك قد خطر ببالي عاجلًا. لكنني فكرت: «مع ذلك لا يكفي أن نعرف المفهوم. النقطة المهمة هي وضعه قيد التنفيذ فعليًّا».

19

نظرت إلى القائمة التي تقبع في منتصف الطاولة.

لماذا أنت هنا؟ هل تخشى الموت؟ هل أنت مُتحقِّق؟

لم تتراءَ الأسئلة غريبة مقارنة بالمرة الأولى التي قرأتها فيها. وكانت أهميتها أكثر وضوحًا بكثير الآن.

هل أنت مُتحقِّق؟

قلت لنفسي: «إلى أن تتجاوز مجرد معرفة سبب وجودك هنا، وتبدأ فعليًّا في العمل تجاهه، لا أعتقد أنه يمكنك أن تكون مُتحقِّقًا».

«لكن القيام بذلك ليس بالأمر السهل دائمًا، أليس كذلك؟»

رفعت عينيَّ مذهولًا. ابتسمت كيسي وشرعت في ملء كأس الماء من الإبريق في يدها. لم أسمعها تقترب من الطاولة. مثل مايك سابقًا، كان الأمر كما لو أنها ظهرت من العدم.

«لا، لا، ليس كذلك». أجبت وأنا أحاول جمع أفكاري: «أعني أن الوظيفة التي أمتلكها الآن شيء أعرف كيف أفعله. أنا جيد فيها. أنا أتقاضى أجرًا مقابلها».

ترددت قبل أن أضيف: «ماذا سيحدث إن سألت نفسي لماذا أنا هنا، وعندما أعرف الإجابة، لا أعرف كيف أقوم بتلك الأشياء؟ أو ماذا لو لم أتمكن من الحصول على وظيفة تُمكِّنني من القيام بها؟ ماذا سأفعل من أجل كسب المال إذن؟ كيف سأدفع فواتيري أو أدخر للتقاعد؟

هززت رأسي: «أو ماذا لو لم أكن جيدًا في أي شيء جديد؟ أو إن كانت أشياء يسخر منها الآخرون، أو لا يحترمونها؟»

أومأت كيسي عندما شاركت مخاوفي، ثم نظرت إلي: «جون، هل تعتقد أنه بمجرد اجتياز الشخص الخطوات اللازمة لتحديد سبب وجوده هنا، والتوصل إلى إجابته الحقيقية، فإنه سيكون متحمسًا لما اكتشفه؟»

توقفت للحظة محاولًا أن أتخيل كيف سيكون الأمر. أجبتها: «آمل ذلك. إن اكتشفوا حقًّا سبب وجودهم، أعتقد أن ذلك سيكون مثيرًا جدًّا».

«هل تعتقد أنه سيكون من المثير بالقدر نفسه القيام بما يساعد في تحقيق ذلك السبب؟»

سكتُّ مرة أخرى. بدت الأسئلة سهلة للغاية. فكرت: «لا بد أنني أفوت شيئًا».

أجبتها: «بالتأكيد، لماذا لن يكون كذلك؟ يجب أن يكون المرء أكثر حماسًا وشغفًا بهذا الأمر أكثر من أي شيء آخر».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «إذن لماذا تعتقد أن هذا الشخص سيفشل؟»

نظرت إلى كيسي، غير متأكد من كيفية الرد.

واصلت كيسي: «هل قابلت يومًا شخصًا كان شغوفًا تمامًا بما يفعله كل يوم؟ بدا أنهم يقضون وقتهم في شيء استمتعوا به حقًّا؟»

فكرت للحظة: «ليس الكثير. لكنني أعرف عددًا قليلًا من الأشخاص الذين ينطبق عليهم هذا الوصف».

سألت كيسي: «هل هم جيدون في ما يفعلونه؟»

أجبت بقليل من السخرية: «نعم، أجل، مع كل الوقت الذي يقضونه في فعل ذاك الشيء، لا بد أن يكونوا جيدين فيه. أعني أنهم يقرؤون عنه في أوقات فراغهم، ويشاهدون البرامج ومقاطع الفيديو حوله، ويذهبون إلى المؤتمرات بشأنه... ومع كل هذا التعرض، يجب أن يكونوا جيدين في ما يفعلونه».

سألت: «ألا يسأمون من فعل كل ذلك؟»

أجبت وأنا أهز رأسي: «لا، لا يتراءى لي أنهم يحصلون على ما يكفي منه. يبدو الأمر كما لو أن القيام به يشحن طاقاتهم ويحفِّزهم...». توقفت في منتصف الجملة.

ابتسمت كيسي في وجهي: «هل يبدو أنهم يواجهون صعوبة كبيرة في العثور على عمل؟»

توقفت، وفكرت للحظة: «لا. ليس الناس الذين أعرفهم. لديهم الكثير من المعرفة حول ما يحبون القيام به، ولديهم شغف عظيم به، لدرجة أن الجميع يذهب إليهم دائمًا للحصول على المشورة. الجميع يريدون منهم دائمًا أن يشاركوا في مشاريعهم».

قالت: «أتصور أنهم أشخاص إيجابيون ومتفائلون للغاية. ربما لا يحتاجون إلى الابتعاد عن كل شيء من أجل إعادة شحن طاقتهم».

تركتُ تعليقات كيسي تترسخ في ذهني. كانت طريقة شيِّقة للنظر إلى الأشياء. كيف ستكون الحياة إن كنت أفعل دائمًا الأشياء التي أريد القيام بها؟ ماذا لو كنت أقضي وقتي دائمًا في شيء كنت شغوفًا به؟

سألتُ بعد لحظة: «لكن ماذا عن المال؟ لمجرد أنك

جيدة في شيءٍ ما، أو لديكِ معرفة كبيرة به، لا يعني أنك تحصلين تلقائيًّا على أموال كثيرة مقابل ذلك. قد تتمكنين من العثور على عمل، لكن هل سيدفع لك أجرًا جيدًا؟»

20

شعرت بتحسن طفيف تجاه نفسي؛ لأنني توصلت إلى هذا. تابعت: «في نهاية المطاف، مَن يدري ما أنواع الأشياء التي قد يفكر الشخص في تحقيقها؟».

أومأت كيسي. قالت ببطء: «أرى ذلك. حسنًا، فلنفكِّر في أسوأ سيناريو ممكن فيما يتعلق بالمال. يمكن لأي شخص أن يعيش حياة يفعل فيها كل يوم ما حدده على أنه شيء يحقق غايته في الوجود. ومع ذلك، لا يكسبون الكثير من المال. يا إلهي!! سيكون ذلك مأساويًّا».

تابعت: «تخيل العواقب. قد تجد نفسك قد عشت حياتك بطريقةٍ تحقق دائمًا غايتك في الوجود. يمكنك أن تقضي حياتك بأكملها تفعل ما تريد أن تفعله؛ لأنك عرفت سبب وجودك هنا». توقفت قبل أن تضيف: «لكن... قد تصل إلى سن الخامسة والستين وليس لديك مدخرات تقاعدية كافية».

سألت، صوتها ينضح بدراما مصطنعة: «أخمن أنك ستكون مضطرًا إلى مواصلة فعل ما تريد فعله. قد يكون ذلك مأساويًّا بالفعل».

أدرتُ عينَيَّ قليلًا وابتسمت: «كيسي، يمكنك أن تكوني ساخرة تمامًا عندما تريدين ذلك».

ابتسمت قائلة: «أنا فقط أحاول التأكد من أنني أفهم تمامًا أسلوب تفكيرك».

«فهمت. فهمت. يعود الأمر إلى قصة مايك عن الصياد. لماذا تنتظر أن تفعل ما تريد، بينما يمكنك أن تفعله الآن».

فأجابت: «هذا هو، وشيء أكثر من ذلك. هل تتذكر محادثتك مع آن حول سبب شراء الناس الأشياء؟»

أومأت برأسي: «بالتأكيد. كانت تتحدث بلسان الكثير من الناس، أن جزءًا من سبب رغبتهم في الحصول على المزيد من المال شراء المزيد من الأشياء. إنهم يأملون أن ما يشترونه يرضيهم؛ لأن الجوانب الأخرى من حياتهم، مثل: عملهم، تتركهم غير راضين أو مُتحقِّقين. ولكن إن لم يكونوا حذرين، فسوف يتحول الأمر إلى دوامة لا تنتهي من الانحدار. كلما زاد إنفاقهم، زاد الوقت الذي يتعين عليهم العمل فيه في وظيفة غير مرضية لدفع ثمن هذا الإنفاق».

نظرت إلى كيسي لكنها لم ترد. فكرت للحظة. شعرت كأنني أغفلت شيئًا. سألت: «الأمر يتعلق بأسوأ سيناريو ممكن، أليس كذلك؟»

أومأت كيسي.

فكرت أكثر. «أظن أن الشيء الأول أن الشخص في أسوأ السيناريوهات يمكن أن يختار دائمًا القيام بشيء آخر».

أومأت كيسي برأسها مرة أخرى.

«وهذا السيناريو الأسوأ. من الواضح أن هناك سيناريو أفضل. يمكن لأي شخص أن يتقاضى أجرًا كبيرًا مقابل القيام بما يريده، وهذا يلبي سبب وجوده هنا».

أومأت كيسي برأسها مرة أخرى، ولم تقل أي شيء.

جلست وأخذت رشفة من الماء. كنت أعلم أنني ما زلت لم أكتشف ما كنت غافلًا عنه. كنت على وشك أن أطلب تلميحًا، عندما خطرت ببالي فكرة.مكتبة سُر مَن قرأ

بدأت: «ربما يصبح المال أقل أهمية. أعني أن الأمر يعتمد على الشخص وظروفه، ولكن...» بترت عبارتي.

سألتني كيسي بإلحاح: «لكن؟»

أشحت بعينَيَّ بعيدًا للحظة. القطع كانت كلها أمامي. ما كان عليَّ إلا أن أضعها بالترتيب الصحيح. ثم فجأة، كانت أمامي مباشرة.

سألت كيسي بابتسامة: «كل شيء على ما يرام؟»

شرعت في الحديث بحماس: «جزء من سبب عملي هو كسب المال. أحتاج إلى المال لدفع ثمن ما أشتريه. عندما أفكر فيما تعنيه هذه الأشياء حقًّا بالنسبة لي، أعتقد أنني أشبه إلى حدٍّ ما الأشخاص الذين كنا نتحدث عنهم أنا وآن. إنها الأشياء التي تساعدني في الهروب مدة. الأشياء التي تساعدني في الاسترخاء، وتجعلني أشعر بتحسن تجاه ما يحيط بي.

ما أتساءل عنه هو مقدار شعوري بالحاجة إلى شراء هذه الأشياء لو لم تكن لدي حاجة إلى «الهروب»؟ «أو لو لم تكن لدي الحاجة إلى «الاسترخاء»؟ إن كنت أفعل ما أريد أن أفعله، فلا بد أن يكون ما أنا بحاجة للهروب منه أقل، وربما لا أعاني أيضًا من قدر الضغط نفسه الذي يجب عليَّ التخلص منه».

نظرت إلى كيسي بدهشة: «أنا لا أقول: إنني سأعيش في كوخ في الغابة في مكانٍ ما، ولكن أعتقد أنه ربما يختلف تعريف «الكثير من المال» بناءً على مقدار ما يعيشه الشخص من حياة يحقق من خلالها غايته من الوجود».

سألتني كيسي: «هل تقترح إذن أن يعزف الناس عن الرغبة في الحصول على المزيد من المال؟»

أجبت وأنا أهز رأسي: «لا، أنا أقول ذلك لنفسي،

أعتقد أنه لو عرفت سبب وجودي هنا، وكنت أفعل ما قررت أنه سيحقق ذلك - ربما سأكون أقل اهتمامًا بالمال من اهتمامي الآن. هذا كل ما أحاول قوله».

ابتسمت كيسي وأومأت برأسها، ثم نهضت من على الطاولة، والتقطت اثنين من أطباقي الفارغة: «أفكار مثيرة للاهتمام، يا جون».

نظرت حولي في المقهى. «أفكار اكتشفتها في مكان مثير للاهتمام».

21

بعد بضع دقائق، عادت كيسي وجلست أمامي ثانية: «جون، عندما أخذت أطباقك إلى المطبخ، ذكّرني مايك بشيءٍ قد تجده مثيرًا للاهتمام. يتعلق الأمر بمناقشتنا حول التحديات التي قد يواجهها الأشخاص عندما يحاولون تحقيق غ. م. و».

أجبتها: «هل تقصدين سؤالي حول كيفية كسب المال؟»

«هذا جزء منه، وهناك المزيد».

أومأت برأسي: «أريد سماع ذلك».

بدأت: «لكي ينجح هذا، أحتاج منك أن تفكر في بعض الأشخاص الذين كنا نناقشهم سابقًا.

«تقصد الأشخاص الذين أعرفهم، والذين لديهم شغف تام تجاه ما يفعلونه؟ أولئك الذين يبدو أنهم يقضون كل يوم في فعل ما يستمتعون به حقًّا؟»

أومأت برأسها: «أجل، هؤلاء. هل لاحظت شيئًا عنهم؟»

«حسنًا، كانت هناك امرأة تعمل في المبيعات في...»

قاطعتني كيسي قائلة: «في الواقع، فكر على نطاق أوسع مما كانوا يفعلونه. ماذا لاحظت عمومًا بشأنهم؟»

جلست وأغمضت عينَيَّ للحظة متخيلًا الأشخاص داخل ذهني، ثم نظرت إلى كيسي ثانية: «حسنًا كما ذكرت سلفًا، يبدون جميعًا سعداء حقًّا. يبدو أنهم يستمتعون بما يفعلونه. هم أيضًا واثقون بأنفسهم حقًّا. ولا يتراءى لي الأمر بمثابة تبجح زائف أيضًا. يبدو أنهم يعرفون أن الأمور تسير بالطريقة التي يريدونها».

توقفت هنيهة قبل أن أتابع: «قد يبدو هذا غريبًا، ولكن ثمة سمة أخرى وهي أنهم جميعًا محظوظون. أعني أن الأشياء الجيدة تحدث لهم فحسب. أشياء غير متوقعة».

سألت كيسي: «ماذا على سبيل المثال؟»

«حسنًا، هناك هذه المرأة التي أفكر فيها. كانت تعمل في مجال الإعلانات، الأمر الذي يبدو غريبًا بعض الشيء بعد محادثتي السابقة مع آن. على أي حال، كانت تحاول الظفر بعميل كبير. لا أعرف حتى لأي غرض. لكنني أتذكر أنه كان أمرًا جللًا، وقد حاول الكثير من الأشخاص قبلها القيام بذلك وفشلوا».

حسنًا، قررت أنها تريد الظفر به. بعد حوالي أسبوعين من العمل على عرضها التقديمي، تلقت مكالمة هاتفية من صديق جامعي قديم. لم يتحدث الاثنان منذ زمن طويل. وبينما كان كل منهما يخبر الآخر بما فاته من شؤون حياته، تحدثا عن موضوع العمل، وذكرت المرأة كيف كانت تحاول الحصول على هذا العميل. اتضح أن صديق الكلية كان لديه صديق آخر يعمل في الشركة نفسها التي كانت المرأة تسعى وراءها.

بعد مكالمات هاتفية عدة، التقى الثلاثة لتناول العشاء. وبالطبع، بعد أسابيع قليلة من ذلك، ظفرت المرأة بالعميل». هززت كتفي مضيفًا: «هذا ما أعنيه بالأشياء غير المتوقعة التي تحدث لهم. يبدو أن هؤلاء الأشخاص محظوظون جدًّا».

سألت كيسي: «لماذا تعتقد ذلك؟»

فكرت للحظة: «لا أعرف بالضبط. ربما محض مصادفة. لكن الشيء المضحك أنك طلبت مني أن أفكر في الأشخاص الذين يستمتعون حقًّا بما يفعلونه. إنهم الأشخاص الذين يقضون الوقت في القيام بأشياء تتماشى مع غايتهم في الوجود. يبدو أن هذه الأنواع من الأحداث المحظوظة تحدث طوال الوقت لهؤلاء الأشخاص».

ابتسمت كيسي ونظرت إليَّ: «هل يحدث هذا فقط لهؤلاء الناس؟ هل سبق لك أن واجهت شيئًا كهذا؟»

عدت بظهري إلى الوراء: «أفترض أنني واجهت شيئًا مماثلًا. أعني أنني لا أستطيع التفكير في حالة محددة تخطر على بالي، ولكنني أعلم أنه كانت هناك أوقات اندهشت فيها من كيفية حدوث شيء غير متوقع، فقط عندما كنت في حاجة إلى ذلك».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «جون، إن كنت قادرًا على تذكر تلك الحالات المحددة، لديَّ حدس أنك ستجد رابطًا مشتركًا بينها».

سألتها: «ربما مثل تلك الأوقات التي كنت أفعل فيها بالضبط ما أردت أن أفعله؟»

22

بينما أقول هذه الكلمات، شعرت بقشعريرة تسري بداخلي. كان الشعور نفسه الذي ساورني سابقًا، عندما بدا كأنني تعلمت شيئًا مهمًّا عن نفسي.

ابتسمت كيسي قائلة: «لا أستطيع التحدث نيابةً عنك تحديدًا يا جون، لكن في أثناء عملي هنا في المقهى، لاحظت بعض الأشياء عن الأشخاص عمومًا. أولئك الذين يعرفون غ. م. و، ويفعلون ما يريدون لتحقيقها، يبدو أنهم محظوظون جدًّا. تحدث لهم أشياء غير متوقعة وعشوائية على ما يبدو عندما يكونون في أمس الحاجة إليها.

سألت بعضهم عن ذلك، وبينما يتفقون جميعًا على وجود مثل تلك الأشياء، ليس لدى الكثير منهم الرأي نفسه حول سبب حدوثها. لأكون صادقة، معظمهم لا يهتمون حقًّا بتحديد ماهيته بالضبط. يعلمون أن ذلك يلعب دورًا عندما يحققون غايتهم من الوجود، ويرون أنه جزء من الطريقة التي تعمل بها الأشياء».

أجبتها: «غريب. يبدو الأمر روحيًّا بعض الشيء».

أومأت برأسها قائلة: «قال البعض ذلك. ويرى آخرون أنه جزء من التدفق الطبيعي للكون، أو قوة أسمى. لا يزال البعض الآخر يرى أنه مجرد حظ جيد. لكنهم جميعًا متفقون على أنه موجود وأنه عامل في ما يفعلونه».

سكت هنيهة قبل أن أسأل، «ما رأيك يا كيسي؟»

فكرت للحظة. «بصراحة، لا أعرف على وجه اليقين. أفترض أن كل هذه الأسباب وربما سبب آخر. هل سمعت من قبل عن نظرية الأعداد الأسية؟»

هززت رأسي: «لا أعتقد ذلك».

«من السهل جدًّا فهمها. سأعطيك مثالًا. تخيل أنك تخبر شخصًا شيئًا محددًا، ويمكنك أن تجعله يخبر الآخرين. ثم يخبر هؤلاء الأشخاص المزيد من الأشخاص. لن يمضي وقت طويل حتى تصل رسالتك إلى جمهور أوسع بكثير مما تحدثت إليه شخصيًّا».

قلت: «يشبه تمرير بريد إلكتروني أو رسالة نصية. حيث ترسلها إلى عشرة أشخاص، فيرسلونها إلى عشرة آخرين، ويستمر الأمر».

أومأت برأسها: «بالضبط. إنه المفهوم نفسه. الآن فقط، لنفترض أنك تسمح للأشخاص بمعرفة شيء تحاول القيام به

والذي سيساعدك في تحقيق غايتك من الوجود. أولًا، تشاركه مع عشرة أشخاص. ثم يتقاسم كل منهم هذه المعرفة كل منهم مع عشرة آخرين. ثم يستمر هؤلاء الأشخاص في مشاركته، ويتواصل الأمر. وقبل مرور وقت طويل، ستكون لديك مجموعة كاملة من الأشخاص الذين يعرفون وضعك، ومن المحتمل أن يساعدوك.

فكرت للحظة: «ولكن لماذا يكون هؤلاء الأشخاص الآخرون على استعداد لمساعدتي؟ وما الذي يحفزهم على التحدث مع الآخرين حول ما أحاول القيام به؟»

نظرت كيسي إليَّ، لكن لم ترد. حصلت على انطباع بأن هذه كانت إحدى تلك المرات التي كان من المفترض أن أجيب فيها على سؤالي بنفسي. جلست أفكر لبضع لحظات، لكن الجواب لم يأتِ إليَّ: «لست متأكدًا من أنني أفهم ذلك يا كيسي. ماذا عن تلميح؟»

«جون، هل تتذكر هؤلاء الأشخاص الذين فكرت بهم عندما بدأنا هذه المحادثة - أولئك الذين يعملون على تحقيق غايتهم من الوجود؟ كيف تشعر عندما تتفاعل معهم؟»

«إنه شعور رائع. لا يمكنك إلا أن تنشغل بشغفهم وحماسهم لما يفعلونه. أنت فقط تشعر كأنك تريد المساعدة».

سكت لحظة قبل أن أجيب: «أوه، هيا يا كيسي. هل تقولين لي: إن هذا هو الجواب؟ ولكن كيف ينطبق ذلك على فكرة تمرير الرسالة؟»

«جون، لقد قلت للتو: إن شغفهم وحماسهم يجعلك تشعر أنك تريد المساعدة. إن لم تتمكن من المساعدة، ولكنك تعرف أشخاصًا آخرين قد يكونون قادرين على ذلك، فهل ستتصل بهم؟»

«بالتأكيد. يشعر المرء بالإلهام لأنهم يبدون...». توقفت مؤقتًا بحثًا عن الكلمات الصحيحة.

سألت كيسي: «.. على المسار الصحيح؟»

أومأت برأسي: «نعم، شيء من هذا القبيل. يبدون على المسار الصحيح، ولا يسعك إلا أن ترغبين في المساعدة».

«وعندما تتحدث عنها لأشخاص آخرين قد يكونون قادرين على المساعدة، كيف تتحدث عنها؟»

ابتسمت، نصف الابتسامة لنفسي، ونصفها الآخر لكيسي: «أتحدث ببعض الشغف والحماس نفسيهما اللذين تحدثوا بهما معي في الأصل. إنه أمر لافت للنظر، كما لو أن العاطفة تبقى مع القصة، أو مع الحاجة».

هزت كيسي كتفيها قائلة: «ربما تكون هذه إجابتك».

وقفت وجمعت الأطباق الباقية من فوق الطاولة. وعلقت وهي تحمل الأطباق الفارغة: «أنا منبهرة يا جون. لابد أنك كنت جائعًا حقًّا».

أجبتها: «إنه الطعام. إنه جيد جدًّا حتى أفوِّته».

نظرتُ إلى المطبخ ورأيت مايك. لوَّح لي بيده. لوَّحت له بدوري، وشعرت بأنني أقل ارتباكًا هذه المرة بشأن مسألة التلويح للطهاة برمتها في مفهوم مطعم: «كيسي، لا أعتقد أنه لا تزال لديكم قطعة باقية من فطيرة الفراولة والرواند تلك؟»

ضحكت وقالت: «سأعود إلى المطبخ وأرى ما يمكنني فعله».

مكتبة
t.me/soramnqraa

23

بعد بضع دقائق، وصل مايك إلى الطاولة. سألني: «قطعة واحدة من فطيرة الفراولة والرواند؟»

وكان على الطبق الذي في يده قطعة ضخمة تكفي ثلاثة أشخاص. ابتسمت: «مايك، هذا يبدو كأنه نصف الفطيرة تقريبًا. لست متأكدًا من أنني أستطيع تناول كل ذلك».

وضع منديلًا إضافيًّا وشوكة جديدة على الطاولة مع الطبق: «خذ وقتك، لا تستعجل. كيف كانت مناقشتك مع كيسي؟»

«شيقة جدًّا».

أشرت إلى القائمة، وقلت: «كنا نتحدث عن الأشخاص الذين يبدو أنهم أجابوا على النسخة الشخصية من هذا السؤال الأول».

للحظة، تحولت الكلمات الموجودة في القائمة إلى: «لماذا أنا هنا؟» ثم عادت ببطء إلى: «لماذا أنت هنا؟» لم أتكبد حتى عناء ذكر التغيير.

واصلت: «أجل، هذا السؤال. بدا أن هؤلاء الأشخاص يمتلكون بعض الخصائص المشتركة. يعرفون سبب وجودهم هنا، وقد اكتشفوا ما يريدون القيام به لتحقيق هذا السبب، وهم واثقون تمامًا من أنهم سيكونون قادرين على القيام بهذه الأشياء. وعندما يحاولون القيام بذلك، تقع أحداث تساعدهم في النجاح. كانت كيسي تشرح لي بعض النظريات التي لدى الناس حول هذا الشق الأخير».

ابتسم مايك قائلًا: «هناك الكثير من التكهنات حول هذا. كان الأمر كذلك منذ زمن طويل، وربما يعود إلى أقدم الفلاسفة».

«مايك، أنا مرتبك قليلًا بشأن شيء محدد. لماذا لا يلاحق الجميع غايتهم من الوجود؟ وقبل أن تبدأ، أعرف أنني يجب أن أطرح هذا السؤال على نفسي، وقد كنت أفعل ذلك عندما اقتربت من الطاولة قبل قليل. لكنني أتساءل إن كان هناك سبب أكبر وأكثر شمولًا من أي سبب قد يكون لديَّ شخصيًّا».

وضع مايك الكوب الذي كان يحمله على الطاولة قبالتي، وانزلق جانبه من المقصورة. شرع بالكلام: «بالتأكيد كل واحد منا لديه أسبابه الخاصة، وهذه الأسباب هي شيء يجب على كل شخص التعامل معه بنفسه؛ لأنها فريدة

بالنسبة لحالة كل شخص. هناك بعض العناصر الأكبر التي يبدو أنها تهيمن مع ذلك».

سألت: «على سبيل المثال؟» وأخذت شوكة كبيرة من الفطيرة.

«حسنًا، بالنسبة للعديد من الأشخاص، الأمر بسيط لدرجة أنهم لم يحتكُّوا مطلقًا بمفهوم الغاية من الوجود. يفهم آخرون هذا المفهوم، لكنهم غير متأكدين من أن لديهم غاية من وجودهم، ثم هناك بعض الأشخاص الذين؛ بسبب تربيتهم أو بيئتهم، لا يعتقدون أن لديهم الحق في محاولة تحقيق غايتهم من الوجود».

سكت هنيهة قبل أن يستطرد: «حتى الأشخاص الذين يشعرون أن لديهم غاية من الوجود، ويعتقدون أن لديهم الحق في تحقيقه، أحيانًا لا يعتقدون أن تحقيقه بسيط مثل معرفة أنهم يستطيعون، ومن ثم فعل ما يريدون».

هز كتفيه قائلًا: «هذا يعود إلى بعض ما كنت تتحدث عنه أنت وآن. كثير من الناس يكسبون عيشهم، ويحوزون قوتهم من خلال إقناع الآخرين بأنهم، أو شيء يصنعونه أو يبيعونه، المفتاح إلى التحقُّق. تخيل لو أدرك الناس أن كلًّا منا يتحكم في مستوى تحقُّقه الشخصي.

الأشخاص الذين يحاولون إقناع الآخرين سيفقدون قوتهم. وبالنسبة لهذه الأنواع من الناس...» توقف للحظة: «لا يروق ذلك لهم مطلقًا».

قلت: «هذا يذكرني بإحدى المحادثات التي دارت بيني وبين كيسي في وقت سابق من هذه الليلة. ساعدتني في فهم أنه حالما يعرف أحدهم غايته من الوجود، يمكنه أن يفعل، ويصبح ما يريد دون الحاجة إلى إذن أو موافقة شخص آخر».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «صحيح. وفوق كل ذلك، لا يمكن لأحد أن يمنع أي شخص أو يمكِّنه من تحقيق وفعل كل ما يريده في الحياة. كل منا يتحكم في مصيره».

فكرت في ذلك، وفي محادثاتي السابقة مع كيسي وآن: «ما تصفه يختلف تمامًا عن الرسائل التي أراها وأسمعها في حياتي اليومية. أنا أفهم لماذا يصعب على الناس حتى أن يتعرضوا لمفاهيم تتماهى مع سبب وجودهم وتحكم كل إنسان في مصيره. ناهيك باتخاذ الخطوات التالية والعيش بهذه الطريقة بالفعل».

أجاب مايك: «بالتأكيد. لكن الأمر ليس مستحيلًا. في الواقع، منذ بضعة أسابيع، أخبرني أحد زوار المقهى أنا وكيسي قصة شيقة حول ما تعلمه فيما يتعلق بتحكمه في مصيره».

أجبته: «أود سماعها. هل تشمل المزيد من الصيادين؟»

ضحك مايك قائلًا: «ليست هذه المرة، لكن الأمر يتعلق بالرياضة. لسنوات كان هذا الرجل يحلم حلمًا متكررًا، حيث يقف أمام ضربة جولف صعبة للغاية. وكما أوضح، فهو ليس لاعب غولف جيدًا عندما يكون مستيقظًا، لذا كانت مواجهة هذا التحدي في أثناء النوم مُحبِطة بشكل خاص. في حلمه، كانت الكرة التي يحتاج إلى ضربها موضوعة على حافة نافذة، أو صخرة كبيرة منحدرة لأسفل، أو في مكان ثالث سخيف وصعب.

«كان يحاول ويحاول تثبيت قدميه ويتمرن على مرجحة مضربه جيدًا. لكن لم يساوره شعور جيد قط، وكان يعلم أن تسديدته ستكون سيئة. كلما زاد عدد المرجحات التي تمرن عليها، أصبح أكثر قلقًا وتوترًا.

عندما وصل إحباطه إلى ذروته، شعر أخيرًا أنه مستعد للقيام بالضربة. ومع ذلك، عندما بدأ في مرجحة مضربه للوراء، تغير موقع الكرة، وواجه وضعية جديدة وصعبة بالقدر نفسه للكرة. وبعد ذلك سوف يمر بتراكم آخر من التوتر والقلق. وظلت هذه الدورة تتكرر حتى استيقظ أخيرًا وقلبه ينبض وجسمه يعج بالتوتر».

علقت: «هذا يبدو فظيعًا».

أومأ مايك برأسه: «قال: إنه كان كذلك. ولكن في إحدى الليالي عندما راوده الحلم ثانية، عند النقطة التي وصل فيها عادة إلى أقصى مستوى من الإحباط، أصبح فجأة يدرك أنه يمكنه بسهولة التقاط الكرة ووضعها في مكانٍ آخر. لم يكن هناك أي شيء على المحك، وكان هو الوحيد الذي يهتم حقًّا بالمكان الذي تضرب منه الكرة.

قال: إنه استيقظ وهو يشعر بإحساس قوي بشكل لا يُصدق بأنه اكتسب رؤية عظيمة لشيءٍ ما إن عرفه حتى بدا جليًّا للغاية، لكنه لم يكن كذلك من قبل. وأنهينا حديثنا معه وهو يشرح لي ذلك:

(بالرغم مما قد نتعلم أن نصدقه، أو نتعرض له في الإعلانات، أو نشعر به عندما نكون متوترين في العمل، إلا أن كل منا يتحكم في كل لحظة من حياته. نسيت ذلك، وكنت أحاول التكيف مع جميع أنواع المؤثرات الأخرى، بينما أسمح لها بالتحكم في وجودي.

تمامًا مثلما لم يهتم أحد حقًّا بالمكان الذي أضرب منه كرة الجولف سواي، في الحياة أنت فقط تعرف حقًّا ما تريده من وجودك. لا تدع الأشياء أو الأشخاص يقودوك إلى النقطة التي تشعر فيها أنك لم تعد تملك السيطرة على مصيرك. كن فعَّالًا في اختيار طريقك وإلا سيُختار لك. فقط حرِّك كرة الجولف)».

أنهى مايك القصة ونظر إليَّ: «رأيت، لا يوجد صيادون».

ابتسمتُ: «لا يوجد صيادون بالفعل. قصة عظيمة بالرغم من ذلك. أنا أحب الرسالة التي احتوتها».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «وكذلك فعل الرجل. وقال: إن الرسالة في الحلم غيَّرت حياته. ومنذ تلك اللحظة أدرك أنه المسؤول عن اختيار مصيره. الآن، عندما يواجه شيئًا ما ولا يكون متأكدًا مما يجب فعله، فإنه يقول لنفسه فحسب: حرِّك كرة الجولف. وقال: إن مجرد التحدث بهذه الكلمات يذكره بأن يفعل ما يريد وألا يخاف».

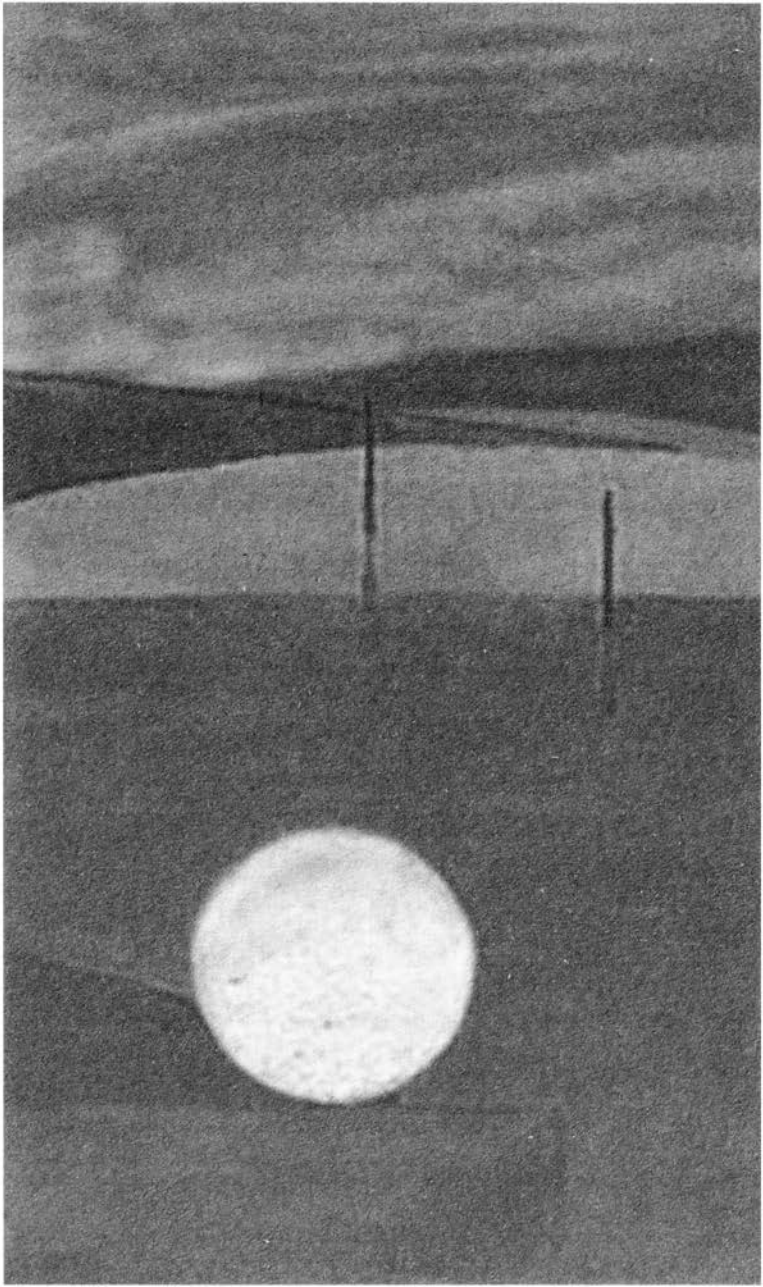

24

نظرت إلى ساعة يدي. كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحًا بقليل. قلت: «لا أستطيع أن أصدق ذلك. حان الوقت تقريبًا لطلب وجبة الإفطار مرة أخرى».

ابتسم مايك قائلًا: «أولًا قد ترغب في إنهاء فطيرتك».

أجبته: «بكل سرور»، وأمسكت بشوكة أخرى. «إنها لذيذة».

مضغت اللقمة وأخذت شربة ماء: «مايك، هناك شيء ما زلت غير متأكد منه. تحدثت عن هذا الأمر معك ومع كيسي، لكن ليس لديَّ جواب بعد».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «اسأل عن أي شيء ما عدا وصفة الفطيرة. هذه إحدى المعلومات القليلة التي نحتفظ بها سرًّا هنا. كانت وصفة أمي ووعدتها أنني لن أبوح بها لأي أحد قط».

ابتسمت: «هذا عار؛ لأنها مدهشة حقًّا. لكنني أفهم. ولحُسن الحظ، أنا أبحث عن إجابة مختلفة».

«أي إجابة؟»

شرعت في الحديث: «حسنًا، تحدثنا أنا وأنت عن أشخاص يسألون أنفسهم: «لماذا أنا هنا؟ وناقشنا أنا وكيسي عواقب طرح هذا السؤال، وكذلك ما يمكن للناس فعله عندما يعرفون الإجابة. ما لا أعرفه حتى الآن هو...».

تدخل مايك: «كيف يبدأ المرء في العثور على الإجابة؟»

أومأت برأسي: «صحيح».

«أعتقد أنه من الأفضل أن أستدعي كيسي. هي وأنا مجتمعان، ربما نستطيع أن نعطيك تفسيرًا أفضل من أحدنا بمفرده».

نهض مايك من فوق الطاولة ومشى إلى نهاية المطعم. كانت كيسي تجلس هناك وتتحدث مع آن وصديقتها. تساءلت إن كنَّ يناقشن أشياء مشابهة لتلك التي كنت أتحدث عنها.

وبعد لحظة، اقتربت كيسي ومايك مني. سألت كيسي بينما جلس الاثنان: «كيف هي الفطيرة؟»

قلت بابتسامة: «رائعة. أنا ممتلئ تقريبًا».

قال مايك: «كيسي، كان جون يسأل كيف يجد شخصٌ ما إجابة السؤال الأول». وأشار إلي: «لماذا أنت هنا؟» في

الجزء الخلفي من القائمة التي تحولت إلى لماذا أنا هنا؟ «اعتقدت أنه ربما يستطيع كل منا محاولة الإجابة على أسئلته».

أومأت كيسي برأسها، ثم نظرت مباشرة إلى عينيَّ. سألت بصوتٍ جَدّي للغاية: «هل لديك صندوق بريد يا جون؟»

أجبت حائرًا قليلًا من سؤالها: «بالتأكيد».

«حسنًا، في أول اكتمال للقمر في اليوم السابع من الشهر بعد طرحك السؤال، سيصل طرد إلى صندوق بريدك. يوجد في ذاك الطرد مستند، إذا أمسكته فوق شمعة، فسوف يعرض رسالة مخفية من أولئك الذين يعرفون الإجابة. الرسالة لا يمكن قراءتها إلا مرة واحدة في حياتك، على ضوء الشموع فقط، ويجب قراءتها في اليوم السابع».

كانت حدَّة كيسي مفاجأة لي. انحنيت إلى الأمام للتأكد من أنني سمعت كل التفاصيل التي كانت تشرحها.

«عندما تفتح الطرد، ستعرف أنه الطرد الصحيح؛ لأن الشريط سيكون أحمر اللون، ومربوطًا بعقدة مزدوجة، حيث...».

فجأة، شعرت أن الطاولة بدأت تتحرك، وكأنها تهتز بالطاقة. عدت بظهري إلى الوراء مرة أخرى بسرعة.

سألت مدهوشًا: «ماذا يحدث يا كيسي؟ الطاولة...».

واصلت كيسي كلامها، كما لو أنها لم تلاحظ أي شيء. «... حيث العقدة الأكبر، أكبر بمرتين على الأقل من العقدة الأصغر، وتقع في الركن الأيسر العلوي من الطرد».

نظرت إلى مايك لأرى إن كان يشعر بالاهتزازات أيضًا. ولدهشتي، وإحراجي البسيط، سرعان ما اتضح من سلوكه أن اهتزاز الطاولة لم يكن علامة من العالم السفلي، كما كنت قد بدأت أعتقد.

كان يستمع إلى كيسي، ولكي يكتم ضحكته، وضع يده على فمه وانحنى على الطاولة. كان يضحك بشدة لدرجة أن جسده كله كان يهتز، وهذا بدوره كان يتسبب في اهتزاز الطاولة.

أدرت عينيَّ وابتسمت.

التفتت كيسي إلى مايك ولكمته في كتفه بمزاحٍ. قالت: «أنت لست شريكًا جيدًا».

أجاب وهو يضحك: «أنا آسف. كنت مقنعة للغاية. لم أستطع احتواء نفسي».

قالت كيسي: «حسنًا، لذلك ربما منحت نفسي القليل من الرخصة الإبداعية فيما يتعلق بالإجابة على سؤالك يا جون».

علق مايك: «القليل!» وابتسم. «كان ذلك أشبه بفبركة صريحة». بدأ بتقليد صوت كيسي، «مقيدة بعقدة مزدوجة، حيث...».

بدأنا جميعًا بالضحك.

قلت بعد لحظات قليلة: «أنت راوية قصص بامتياز يا كيسي. ومع ذلك، أخشى أنك لمَّا تجيبي على سؤالي بعد».

أجابت مبتسمة: «فضلًا عن إضفاء القليل من المرح، كنت أحاول توضيح نقطة محددة. بالنسبة لبعض الأشخاص، يطرحون السؤال ويريدون معرفة الإجابة، لكنهم يريدون أن يكون شخص أو شيء آخر مسؤولًا عن تقديم الإجابة إليهم».

قاطعتها وابتسمت: «في طرد يصل في اليوم السابع من الشهر».

أومأت كيسي برأسها وهي تبتسم: «بالضبط. ومع ذلك، فكما أن لدينا إرادة حرة لنقرر ما يجب فعله ما إن نعرف الإجابة، فنحن أيضًا من يتحكم في العثور على الإجابة».

بدأت الحديث: «إذًا ما تقولينه أنه لا يمكن للمرء اتخاذ الخطوة الأولى ثم الانتظار. إن أراد أحدهم حقًّا معرفة سبب وجوده هنا، فالأمر متروك له كليًّا لمعرفة ذلك».

أومأ مايك برأسه قائلًا: «بالضبط. والناس يفعلون ذلك

بطرائق مختلفة. يقضي البعض وقتًا في التأمل في سبب وجودهم هنا. يستمع الآخرون إلى موسيقاهم المفضلة ويلاحظون إلى أين تأخذهم عقولهم. يقضي الكثير من الناس وقتًا بمفردهم في بيئة طبيعية. ويتحدث آخرون مع الأصدقاء والغرباء حول هذا الموضوع. وبعض الناس يستدلّون على إجابتهم من خلال أفكار وقصص يقرؤونها في الكتب».

سألت: «أيها يعمل على نحو أفضل؟»

التفتت كيسي إليَّ قائلة: «الأمر يعتمد حقًّا على الشخص يا جون. ولأننا الوحيدون الذين يمكنهم تحديد إجابتنا الشخصية، فالكثير من الأشخاص يقضون بعض الوقت على الأقل وحدهم في أثناء بحثهم عن الإجابة».

أجبتها: «أستطيع أن أفهم ذلك. من الصعب التركيز على شيء بهذه الأهمية، عندما تتعرض لوابل من شتى أنواع المعلومات والرسائل الأخرى».

أضاف مايك: «صحيح. عندما يأخذ الناس وقتًا للتأمل أو حتى يكونوا بمفردهم في بيئة طبيعية، فإنهم عادة ما يحاولون الابتعاد عن «الضوضاء» الخارجية، حتى يتمكنوا من التركيز على ما يفكرون فيه حقًّا».

سألت: «هل هذا كل ما في الأمر؟»

هزت كيسي رأسها: «ليس تمامًا. هل تتذكر عندما كنا نتحدث عن قيمة التعرض لمختلف: الأفكار، والأشخاص، والثقافات، ووجهات النظر...؟»

أجبتها: «بالتأكيد. محادثتنا عن تعلم الأشياء المختلفة التي يمكن لأي شخص القيام بها لتحقيق غايته من الوجود».

أومأت كيسي برأسها قائلة: «بالضبط. تنطبق الفكرة نفسها على الأشخاص الذين يحاولون معرفة غايتهم من الوجود. يجد البعض أنه عندما يختبرون أشياء جديدة، ويتعلمون أفكارًا جديدة، بعض الأفكار تلقى صدى بداخلهم. يعيش العديد من الأشخاص بالفعل ردة فعل جسدية».

«يصابون بالقشعريرة، أو رعشة في العمود الفقري، أو يبكون من الفرحة عندما يصادفون شيئًا يتماهون معه حقًّا. بالنسبة للآخرين، الشعور بالمعرفة يغمرهم. يمكن أن تكون هذه كلها أدلة لمساعدة الأشخاص على تحديد إجابتهم عن سبب وجودهم هنا».

قلت: «يمكنني التماهي مع ما تصفينه. حدث ذلك لي من قبل، عندما أكون أقرأ أو أسمع شيئًا محددًا وأدرك أنه مناسب لي». ابتسمت: «في الواقع، حظيت ببعض تلك اللحظات الليلة».

بادلتني كيسي الابتسامة: «هل أجبنا على سؤالك يا جون؟»

أومأت برأسي: «فعلتما. شكرًا».

نهضت كيسي من على الطاولة: «في هذه الحالة، سأتفقد زبائننا الآخرين. هل هناك أي شيء آخر تحتاج إليه يا جون؟»

هززت رأسي: «لا أعتقد ذلك. إلا لو تلقيت طردًا غير متوقع بشريط أحمر، وصلني بعد اكتمال القمر... ربما حينها سيكون لديَّ بعض الأسئلة الأخرى».

ضحكت كيسي وغمزت لمايك قائلة: «هذا عادل بما فيه الكفاية. أبلغنا إن حدث ذلك».

25

جلسنا أنا ومايك في صمت بضع لحظات بعد رحيل كيسي، ثم التفت إليَّ.

«جون، إلى أين كنت متجهًا عندما توقفت هنا؟»

«بدأت إجازتي. شعرت أنني بحاجة لبعض الوقت بمعزلٍ عن كل شيء». سكت هنيهة قبل أن أردف: «أظن أنها فرصة للتفكير. مع أنني لم أعرف حقًّا ما الذي أردت التفكير فيه».

نظرت إلى ساعتي: «يجب أن أقول: الساعات الثماني الماضية منحتني بعض الأفكار الجديدة لذلك على أي حال».

ابتسم وأومأ برأسه بالإيجاب.

«مايك، هل تمانع إذا سألتك شيئًا شخصيًّا؟»

«مطلقًا. ما هو؟»

نظرت إليه: «ما الذي دفعك لطرح السؤال في القائمة؟»

جلس وظهرت الابتسامة على وجهه: «ما الذي يجعلك متأكدًا جدًّا من أنني فعلت؟»

«أنت، سلوكك، هذا المكان. لا أعرف على وجه اليقين. لكن ساورني إحساس أنك تفعل بالضبط ما تريد أن تفعله. أفترض أنك طرحت السؤال في وقتٍ ما، وهذا المكان هو النتيجة».

أومأ مايك برأسه ببطء قائلًا: «منذ سنوات عدة كنت أعيش حياة مزدحمة جدًّا. كنت أرتاد كلية دراسات عليا ليلًا، وأعمل بدوام كامل خلال النهار، وأقضي كل دقيقة أخرى في التدريب ومحاولة أن أصبح رياضيًّا محترفًا. لمدة عامين ونصف، كانت كل لحظة من حياتي تقريبًا مخطَّطة.

عندما تخرجت، استقلت من وظيفتي وأخذت الصيف إجازة. عُيِنت بالفعل في وظيفة جديدة ستبدأ في الخريف، لذلك قررت أنا وأحد أصدقائي التوجه إلى كوستاريكا. أنهى للتو دراسته أيضًا.

أمضينا شهرًا في السفر في أنحاء البلاد، والمشي لمسافات طويلة عبر الغابات المطيرة، ورؤية الحياة البرية، والانغماس في ثقافة جديدة. كان ذلك رائعًا، وملهمًا على مستويات لا حصر لها، وحظينا بالكثير من المرح الخالي من الهموم أيضًا.

ثم في أحد الأيام كنا نجلس على جذع شجرة، نأكل ثمار المانجو الطازجة ونشاهد الأمواج وهي تصطدم بهذا الشاطئ الجميل بشكل لا يُصدَّق. أمضينا فترة ما بعد الظهر في ركوب الأمواج المثالية في مياه دافئة جدًّا، بدا الأمر وكأنه ماء استحمام. ومع انتهاء اليوم، كنا نسترخي ونشاهد السماء تتحول من اللون الأزرق اللامع إلى: الوردي، والبرتقالي، والأحمر، مع بدء غروب الشمس».

قلت: «يبدو ذلك ساحرًا للغاية».

أومأ برأسه قائلًا: «قد كان. وأتذكر أنني نظرت إلى كل ذلك، وأدركت أنه بينما كنت أخطط لكل دقيقة من حياتي طوال العامين ونصف العام الماضيين، كان هذا المشهد يتكرر كل يوم.

كانت الجنة على بعد ساعات قليلة بالطائرة، وعلى بعد بعض الطرق الترابية، ولم أكن أعلم حتى بوجوده. وأدركت أنه لم يكن موجودًا طوال السنتين والنصف التي كنت مشغولًا فيها فحسب، بل كانت الشمس تغرب هناك، وكانت الأمواج تنكسر على ذلك الشاطئ، لملايين إن لم تكن مليارات من السنين».

توقف للحظة قبل أن يستطرد: «عندما اجتاحتني تلك الأفكار، شعرت بأنني ضئيل جدًّا. مشاكلي، والأشياء التي

شعرت بالضغط بسببها، ومخاوفي بشأن المستقبل، كلها بدت غير مهمة على الإطلاق. أدركت أنه بصرف النظر عما فعلته أو لم أفعله خلال حياتي، سواء أكانت قراراتي صحيحة أم خاطئة أم في مكانٍ ما في الوسط، فإن كل هذا سيظل مستمرًّا مدة طويلة بعد ألا أعود على قيد الحياة.

وهكذا جلست هناك، أواجه جمال الطبيعة وعظمتها الذي لا يُصدق، وأدركت أن حياتي كانت جزءًا صغيرًا جدًّا من شيء أكبر بكثير. ثم داهمتني الفكرة: «لماذا أنا هنا»؟ إن كانت كل الأشياء التي اعتقدت أنها مهمة جدًّا ليست مهمة في الواقع، فما هي؟ ما غايتي من الوجود؟ لماذا أنا هنا؟»

نظر مايك إليَّ وابتسم قائلًا: «بمجرد أن دارت هذه الأسئلة في ذهني، اختبرت شيئًا مشابهًا لما وصفته لك كيسي. لازمتني تلك الأسئلة دائمًا حتى اكتشفت الإجابات».

رجعت بظهري إلى الوراء. لم أكن أدرك ذلك، ولكن بينما كان مايك يتحدث، كنت أميل إلى الأمام لالتقاط كل كلمة مما يقوله.

«شكرًا يا مايك. هذه قصة مذهلة».

أومأ برأسه قائلًا: «الأمر يا جون أن الحياة قصة مذهلة.

كل ما في الأمر أننا أحيانًا ننسى أننا المؤلف، ويمكننا أن نكتبها كيفما نشاء».

جلسنا في صمت بضع لحظات، ثم نهض مايك من على الطاولة. «سأعود وأبدأ في تنظيف المطبخ قليلًا. أأنت بحاجة إلى أي شيء آخر؟»

هززت رأسي: «لا، أعتقد أنني سأنطلق في طريقي قريبًا جدًّا. بالحديث عن ذلك، كنت تائهًا تمامًا عندما وجدت هذا المكان. لا أعرف حقًّا الاتجاه الذي من المفترض أن أسلكه الآن».

ابتسم مايك: «حسنًا ذلك يعتمد...».

همَّ بقول شيء آخر، ثم بتر عبارته كما لو أنه قرر عدم القيام بذلك. عندما تحدث مرة أخرى، كان من الواضح أن لديه فكرة مختلفة: «إذا واصلت السير بضعة أميال على هذا الطريق، فسوف تصل إلى تقاطع رباعي الاتجاهات. انعطف يمينًا، وهذا سيعيدك إلى الطريق السريع. هناك محطة بنزين قبل منحدر المدخل مباشرة. لديك ما يكفي من الغاز للوصول إلى هناك».

لم أعرف كيف علم أنني سأتمكن من الوصول إلى المحطة، لكن كان لديَّ حدس أنه سيكون محقًّا في النهاية.

نهضت من فوق الطاولة ومددت يدي: «شكرًا يا مايك، لديك مكان مميز جدًّا هنا».

ابتسم وتصافحنا: «أهلًا وسهلًا بك يا جون. وحظًّا سعيدًا في كل شيء». وبهذا التفت وسار مبتعدًا.

26

جلست مرة أخرى وانجذبت عيني ثانية إلى القائمة الموجودة على الطاولة.

لماذا أنت هنا؟

هل تخشى من الموت؟

هل أنت مُتحقِّق؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

إذا سألني أحدهم هذه الأسئلة في اليوم السابق، لاعتقدت أن هذا الشخص بعيد عن أرض الواقع قليلًا. الآن، لا أستطيع أن أتخيل عدم التعرض لهاتيك الأسئلة.

جاءت كيسي ووضعت الفاتورة، وسلمتني حاوية. قالت وابتسمت: «إنها القطعة الأخيرة من فطيرة الفراولة والراوند».

«هدية وداع من مايك».

قالت: «وهذه مني»، وأعطتني قائمة الطعام. في المقدمة، وتحت عبارة «مقهى الأسئلة»، كتبت كيسي رسالة. قرأتها، ثم أعدت قراءتها.

أضافت وابتسمت مرة أخرى: «شيء صغير حتى يُذكِّرك بنا».

أومأت برأسي ونظرت إليها: «شكرًا لك كيسي. شكرًا لكما على كل شيء».

«من دواعي سروري، يا جون. هذا ما نحن هنا من أجله».

جلست في مقصورتي لبضع دقائق بعد مغادرة كيسي، استوعب كل شيء فحسب. ثم نهضت، ووضعت بعض المال على الطاولة، وأخذت القائمة وحاوية الفطيرة.

خرجت من المقهى إلى بداية يوم جديد. كانت الشمس قد أخذت للتو في الارتفاع فوق الأشجار في الحقل المقابل لساحة انتظار السيارات المرصوفة بالحصى. يحمل الهواء بقايا السكون الأخيرة التي تسبق بدء يوم جديد، وفي الوقت نفسه أصوات يوم جارٍ بالفعل.

شعرت بالانتعاش والحيوية. نقلت الحاوية التي كنت أحملها من يدي اليمنى إلى يسراي، وفتحت باب سيارتي.

فكرت في قرارة نفسي: «لماذا أنا هنا؟ لماذا أنا هنا؟»

كان بالفعل يومًا جديدًا للغاية.

الخاتمة

بعد ليلتي في المقهى، تغيرت الأمور بالنسبة لي. لم تكن تغييرات مفاجئة كصاعقة من السماء فيما يتعلق بكيفية تقديمها نفسها إليَّ، لكنها كانت على الأقل ديناميكية إلى هذه الدرجة في تأثيرها النهائي في حياتي.

مثل آن، بدأت ببطء. غادرت المقهى وأنا أتساءل: لماذا أنا هنا؟ وواصلت التفكير في هذا السؤال بقية إجازتي. الإجابات لم تأتي كلها فورًا. تعلمت أن العثور على غايتي من الوجود، أو غ. م. وكما أطلقت عليها كيسي، يتطلب أكثر من مجرد قضاء إجازة في التفكير فيها، ثم العودة إلى كل ما كنت أفعله سابقًا. مثل: معظم الأشياء التي تستحق المعرفة، استغرق الأمر بعض الجهد لاكتشاف الإجابة.

كان مزيجًا من الأساليب التي تعلمتها من كيسي وآن ما مكنني في النهاية من اكتشافها. بدأت بتخصيص قدر صغير من الوقت كل يوم للقيام بالأشياء التي أحبها. كان هذا مشابهًا للتقنية التي استخدمتها آن. ثم حاولت الاستفادة من الفرص التي تحدثت عنها كيسي، وبحثت عن فرص أخرى

للتعلم وتجربة أشياء جديدة. ساعدني هذا في توسيع عالمي المُكوَّن من الأسباب المحتملة لوجودي هنا.

في نهاية المطاف، أصبحت غايتي من الوجود، والطرائق التي أريد تحقيقها بها، واضحة. ومن المفارقة أن ذلك كان عندما واجهت التحدي الأصعب على الإطلاق. عندما تزن خيارين: أحدهما أن تعيش حياة تحقق غايتك من الوجود، والآخر أن تعيش فحسب، فستعتقد أن القرار بسيط.

لكنه ليس بسيطًا.

مع مرور الوقت، لاحظت أن هذا المكان الذي يُنهي فيه معظم الناس رحلتهم. ينظرون من خلال ثقب في السياج، ويمكنهم رؤية الحياة التي يرغبون في الحصول عليها بوضوح. لكن لأي عدد كان من الأسباب، لا يفتحون البوابة ويدخلون تلك الحياة.

في البداية، سبب لي هذا الكثير من الحزن، ولكن كما قال مايك، وهذا ما صرت أؤمِن به، يتخذ الناس هذا الاختيار في مراحل مختلفة في حياتهم. بعضهم عندما يكونون أطفالًا، وبعضهم لاحقًا. والبعض الآخر لا يتخذون ذاك الاختيار أبدًا. لا يمكن استعجال الأمر، ولا يمكن أن يكون قرار أي أحد سوى الشخص المعني نفسه.

بالنسبة لي، فإن معرفة أنه «لا يمكنك الخوف من عدم

سنوح الفرصة لك للقيام بشيءٍ ما إن كنت قد قمت به بالفعل، أو كنت تقوم به كل يوم»، قد ساعدتني في فتح تلك البوابة. وباتت الآن أحد المبادئ التي أعيش بها حياتي.

لا يمر يوم دون أن أفكر في شيءٍ مرتبط بالمقهى. أتذكر كيسي وقصتها مع السلحفاة البحرية الخضراء في كل مرة أفتح فيها صندوق بريدي الوارد، وأراه يعج بالإعلانات والعروض لأشياء لا أحتاج إليها. تلك الموجة الواردة موجودة دائمًا، وعلى استعداد لاستنزاف وقتي وطاقتي. لكن الآن أعلم بوجودها، وأحتفظ بقوتي للأمواج الصادرة عني.

وكثيرًا ما أفكر أيضًا في قصة مايك عندما كان يجلس على الشاطئ في كوستاريكا. إذا نظرنا إليها من منظور الصورة الكبيرة، سنجد أن: ضغوطنا، ومخاوفنا، وانتصاراتنا، وخسائرنا لا تمثل سوى القليل.

ومع ذلك، نجد المعنى في مواجهة عدم أهميتنا الظاهرية.

إن كنتُ أشعر بأي ندم على إجراء هاتيك التغيرات في حياتي، فالندم الوحيد أنني لم أُجرِها عاجلًا. أعتقد أنني لم أكن مستعدًا قبل تلك الليلة في المقهى.

الآن، بعد أن بحثت عن سبب وجودي هنا، وعشت حياتي لتحقيق هذا السبب، لن أعود أبدًا إلى الحياة على الجانب الآخر من البوابة.

شكرًا لزيارتك

المقهى على حافة العالم

عن المؤلف جون ستريليكي:

بعد حدث غيَّر حياته عندما كان في الثالثة والثلاثين من عمره، وجد جون الإلهام من أجل الجلوس وسرد قصة «المقهى على حافة العالم».

في حوالي عام بعد صدوره، أدى دعم القراء إلى انتشار الكتاب في أنحاء العالم - ما ألهم الناس في كل قارة، بما في ذلك القارة القطبية الجنوبية. وقد تصدر الكتاب قائمة أكثر الكتب مبيعًا في العام سبع مرات، وتُرجِم إلى اثنتين وأربعين لغة. اللغة العربية هي الثالثة والأربعون.

مكتبة
t.me/soramnqraa

مَنشُورَاتُ نَادِي الكِتَاب

المقهى على حافة العالم

الكتاب الذي أهداه ملايين القراء لأحبتهم. قصة بسيطة، ولكنها تُغيّر حياة أي شخص يكافح من أجل العثور على مكانه في الحياة. "المقهى على حافة العالم" الكتاب الذي تصدّر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في العام سبع مرات، وتُرجِم لثلاث وأربعين لغة.

في مقهى صغير في مكانٍ بعيد جدًا، يجد الزائر ثلاثة أسئلة غير عادية في خلفية قائمة الطعام.

لماذا أنت هنا؟

هل تخشى الموت؟

هل أنت مُتحقِّق؟

مع هذه الأسئلة المحفِّزة للتفكير وتوجيهات ثلاثة أشخاص في المقهى، ينطلق الزائر في رحلة لاكتشاف الذات. على طوال الطريق، ستكتشف طريقة جديدة للنظر إلى الحياة ونفسك، وإلى أي مدى يمكنك أن تتعلم حتى من سلحفاة بحرية خضراء.

"المقهى على حافة العالم خيميائي القرن الحادي والعشرين"
RBA Libros -

"وضع (ستريليكي) إصبعه على نبض العالم".
- جانيت ميديا

BC_PUB
ISBN 978-603-92068-5-9
9 786039 206859
CLUB-BOOK.COM

مكتبة
t.me/soramnqraa